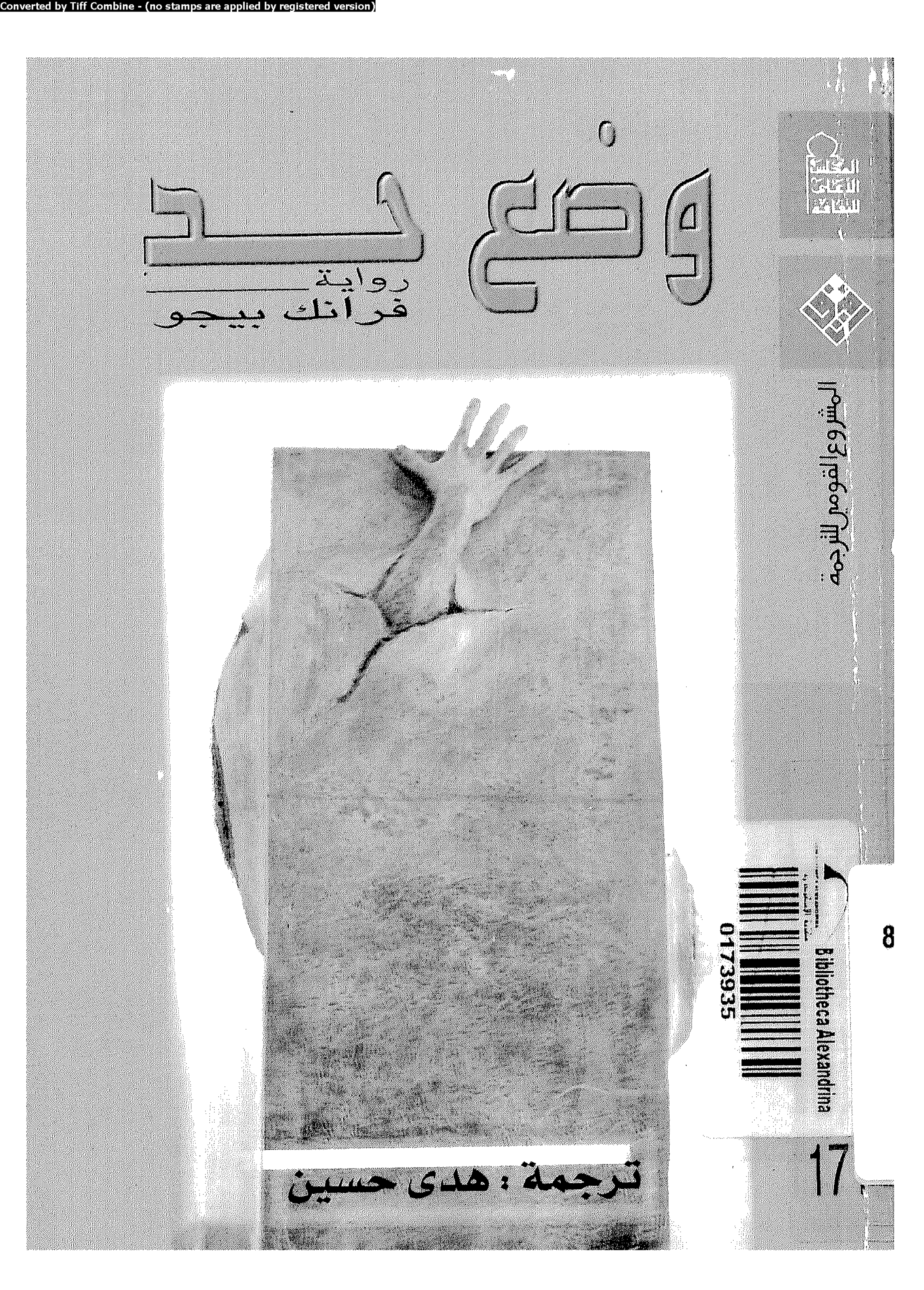

وضع حد
رواية
فرانك بيجو
ترجمة : هدى حسين
17
8
Bibliotheca Alexandrina
0173935

اهداءات ٢٠٠١

المهندس/ محمد عبد السلام العمرى

الإسكندرية

المشروع القومى للترجمة

وضع حد

تأليف
فرانك بيجو

ترجمة
هدى حسين



٢٠٠٠

Mettre Fin
Franck Bijou

Ed.: Le Passeur
Nante , 1996
France

مقدمة المترجمة

الرواية الفرنسية اليوم ووضع حد للصراع مع القدر

منذ بداية الأدب اليوناني وفكرة الصراع مع القدر هي الفكرة المسيطرة على ذهن الكتّاب . صراع البطل مع القدر الذى يجعل العقاب أو الموت هو نتيجة لمحاولة التمرد عليه ، ذلك التمرد اليائس والمستمر برغم ذلك فى محاولات الإفلات . يتمثل ذلك جلياً فى قصتى أوديب وإلكترا اللذين استوحاهما كثير من الكتاب عن الأدب اليونانى .

تناسلت الفكرة فى تاريخ الأدب الأوروبى بشكل عام . وانتقلت من المسرح (كورنى وراسين . . إلخ) إلى الرواية (روسو ، مورياك . . إلخ) . ثم تحورت مع تطور الفكر والفلسفة إلى الوجودية ، ومع تطور مدارس الأدب إلى العبثية ، وحلت المؤسسة ، المجتمع ، أو القيم السائدة محل القدر ، وحل الفرد الذى يريد أن يتحرر من القطيع محل البطل الملعون من القدر . لكن الصراع بقى هو ذاته ، وأصبحت نتيجته هى النتيجة نفسها . يتضح ذلك مثلا فى رواية « الغريب » لألبير كامو ، حيث البطل مدان من الجماعة لأنه لا يتبنى نمط حياتها ، ويُتهم بالقتل من قبل المحكمة. وفى النهاية يموت وحيداً .

ويبقى الإنسان أو الفرد ، القدر أو الجماعة يحتل كل فريق منهما كفة ميزان. وظلا يتأرجحان لصالح الفرد مرة ولصالح الجماعة مرة أخرى . فتسطع كتابات ترفع من شأن الفرد وانتشائه بالحياة وتمرده على السائد المتكلس المعتاد من الأفكار ، ثم كتابات ترفع من شأن المجتمع وروح

الجماعة والقومية والواقـعية . . إلخ . حتى ظهر تيار الرواية الجديدة الذى حاول أن يبـدو محايداً تجـاه هذه التيـمة ، مراوغـاً بالاهتمام بالأشـياء ، الصغيرة البـسيطة ، الدقيقة والحادة وكـأنما حاول أن يعطى لطرفى الصراع هدنة يجهز فيها كل منهما أسلحته لإفناء الآخر .

وكان لابد للفـرد لكى ينفى الجمـاعة أن ينفى نفسـه ، لأنه إذا انتفى الشئ انتفى نقيضه بالضرورة ، مثلما لا يعرَّف الشئ إلا بنقيضه . ولكى لا ينفى الفرد نفسه ، انتقل بمكان الكتابة إلى مـوقع آخر غير موقع الصراع - أو الامتثال - متحدثاً عن بُعد ثالث هو التفاصيل الحياتية ، تفاصيل الأشياء الخارجية ، كما هى ، بلا تدّخل من أى من طرفى الصراع .

أما عن رواية فـرانك بيجـو « وضع حد » ، فـقد عـادت إلى موقع الصراع بعدما انتهت الحرب ، وبعـدما هضمت وتمثلت تجربة الوعى كاملة منذ بداية الصراع حتى نهايته ، لا لتحلل وتعيد صياغة الذاكرة المتصارعة ، ولكن لتؤكد وتدون خسارة كلا الطرفين ، واضعة بسبب تلك الخسارة حداً لهذا الصراع .

تبدأ الرواية بمحاولة فاشلة للانتحـار أقدم عليها شاب- بطل الرواية - يسكن وحـده بعيـدا عن أبويه . هذا الشـاب لا ينـظر إلى الانتحـار نظرة الذى يريد أن يتخلص من حياته الكئيبة البائسة وإنما من يريد أن يقوم بفعل ما لكنه أقل دأباً وأكثر اندفاعاً من أن يقـوم بفعل ممتد فى مراحل الانتحار. بالنسبة له ، فعل سريع وتام .

وتتلاحق أحـداث الرواية متتـبعة هاجس الانتـحار عند هذا البطل ، الذى توقف فجـأة عن كل شئ ، وأخذ يراقب نفـسه فى المرآة ، ويراقب حجـرته بتفاصيلهـا ، ولا يريد الخروج منها ، ذلك الشـخص الذى تنتابه فجـأة الرغبة فى ترتيب كل شئ ، ووضـع كل شئ فى علبة ، أو دولاب

حتى إنه شعـر أنه يريد أن يرتب نفسه هو الآخر ، فـيكتشف أن الصندوق الوحيد الذى يضعون فيه البشر هو التابوت فيقتل نفسه .

ولا يوازى تصفـية البطل الفـرد الجسدية أى تعـزية مجـتمعـية له ، فسكان العمارة يحاولون فـقط درء الذنب عن ضمائرهم ، ووالداه يمارسان الحب بلا متعة كأنما يريد كل منهما أن يؤذى الآخر . هكذا يتفسخ المجتمع بقوة الدفع ، وتغذيه - بهذه القوة - تصفية الفرد الجسدية .

ثم إن الرواية لا تنتهى بموت البطل ، إنها تستمر كأن شيئاً لم يكن ، لكن الشخـصيات الأخرى ينتابـها موت من نوع آخر ، فهـى تتحول ، لا تعود نفس ما كانته قبل مـوت الشاب ، بل وتدرك وجود الشاب من خلال فقدانها له ، أكثر مما كانت تدركه أثناء وجوده . وبذلك تتحول الكتلة إلى شذرات تائهة لأنها بموته اكتشفت ضياعها .

وهذه هى أول رواية للكاتب الفرنسى الشاب فرانك بيجو ، ونحن إذ نترجم هذه الرواية ، فإننا نحاول أن نـفتح باباً على الأدب المعاصر لنا الآن فى البلدان الأخرى ، ذلك الذى يكتبه شبـاب من جيلنا وأعمارنا ، لديهم من الهمـوم والهواجس والأحلام مـا يشبه أو يوازى مـا لدينا ، وحتى نمد جسور التآلـف مع من هم مثلنا من الأدباء الشباب ، مثلما مـددنا جسوراً بالترجمة أيضاً ، مع من سبقونا من الكتّاب بخمسين عاماً .

هدى حسين



إلى ميريام

إلى فيرونيك ، فى المقام الأول.



بروسبيرو : - أخبرنى ياذا الروح الشُّجاعة ، هل يوجد رجل حازم بما يكفى ، جرئ بما يكفى ، لا يفسد الإعصار عقله ؟

أريال : - ما من روح شعرت بزهو الشياطين ، ولم تترك نفسها لبعض مهازل اليأس .

(شيكسبير ، العاصفة ، الفصل الأول ، المشهد الثانى)



الفصل الأول

يستيقظ أيضاً فى صباح اليوم التالى . تمنى لو لم يستيقظ . تمنى أن تتمكن خطة الحركة وحدها من أن تقطع كل شئ . النوافذ مغلقة ، لكن ضوءاً رمادياً يتسرب ، يثابر على حافة السرير . جسمه ممدد ، مستقيم ، مشدود ؛ بصعوبة ، يرفع رأسه . إنه منهك فعلاً . ينظر إلى ذراعه ، إلى طرف ذراعه ، لا يرى عليه إلا خدش رقيق . جف الدم سريعاً ، لم يترك إلا خطاً قرمزياً رفيعاً . تمنى أن ينفتح الجرح الضئيل فى الليل ، ويترك للدم أن ينفلت ، يترك لحياته أن تسيل ، بينما هو نائم ، بينما هو لا يلحظ شيئاً .

وجد السكين بقرب طاولة المطبخ . بسبب هذا السكين ، لم يمت . برغم أنه امتلك للحظة ، عنفاً كافياً للضغط بقوة وإنزال حافة السكين ، ومحاولة إصابة معصمه . لكن السكين كان حانياً جداً ، وحافته غير مسنونة بما يكفى .

هناك إذاً هذا اليوم التالى ، هذا النهار الجديد حيث سيرقص فى الفراغ . سيقول لنفسه إنه مجنون ، سيقول لنفسه إن المجانين يُحبسون ، لن يخرج من بيته . سينتظر ألا يأتيه أى خطاب ، سينتظر ألا يقطع رنين الهاتف الصمت ، سيذهب من حين لآخر إلى النافذة ، سيزيح الستائر من حين لآخر ، ويشاهد زرقة السماء الشاحبة . ستجعله رؤية الشمس يعانى ، سيغلق عينيه ، ويترك الستائر لتنسدل .

حوالى الساعة الخامسة ، يبدأ الجو فى الإظلام . سينكمش الضوء ، سيقبع الظلام فى الحجرة . سيتخذ منه صاحباً . سيلتصق بهذا الظلام .

سيرتمى عليه كأنه مقعد وثير . وسيبقى واقفاً ، واقفاً كما يفعل غالباً فى الصباح ، واقفاً بدون أن يّقدم على شئ ، سوى خطوة أو خطوتين يصيبانه بالدوار .

إنه هناك ، واقفٌ بين النافذة والباب . إنه هناك ، مستعدٌ للرحيل .

ترك زجاج النافذة مفتوحاً بينما الوقت ليلاً تمر فيه الساعات مسرعة . ليس الجو حالك الظلمة تماماً . من هنا ، متمددا على سريره ، يلحظ خلف الأثاثات الأخرى ، بعيداً ، هذه النقطة البرتقالية المضيئة ، كمصباح معلقٍ فى الليل .

يقوم ، يضيء مصباح السرير . تمر نظرته سريعاً على الكاميرا ، كتاب الجغرافيا ، هذه النتيجة الصغيرة المطوية الآن ، والتى أعطاها له موظف البنك مع بداية العام، بضعة كروت أرسلها أصدقاء أو أقارب أثناء الإجازات ، قلم حبر ، ورقة سقطت من نبتة - ورقة جافة - ، علبة سجائر شبه فارغة ، وجهه الشخصى ، بالتحديد أعلى وجهه فى مرآة صغيرة. تصطدم نظرته بوجهه ، هذه النظرة الزرقاء الداكنة.

بعد ذلك ، أزاح الغطاء عنه ، تاركاً نفسه هنا ، على السرير المفتوح ، فى عرى عجيب . ينظر إلى جذعه ، شعرٌ ما فوق سرته مايزال زغباً . جلده أملس . عضوه النائم ، المرتعش ، يثنى ساقاً ، يمرر يده على شعر رأسه الأسود . تقع بعض الخصلات الطويلة الطيعة على جبينه . ينظر إلى العروق التى تجرى فى ذراعه ؛ تبدو تحت الجلد كأنها فروع مرسومة بدقة . بعيداً ، يرى ندبةً على ركبته : منذ الطفولة لم تمحوها السنوات . كان قد وقع فوق الحصى فى سن السادسة ، ذات صيف .

تتضافر العروق فى ساقيه أيضـا . جسمه مكتمل بالكاد . ربما ينقصه بعض التماسك فى عضلات بطنه شئ أكثر بدائية فى جذعه . . . بالكاد .

ينظر إلى جسمه كبنيان ، فى هذا الوضع الكسول ، يشعر بصلابة فى هذا الجسم ، كتجمع مشدود إلى بعضه البعض ويمكن للعضلات والأعصاب أن تثيره . يلتفت ليطفئ النور . على الطاولة أقراص عند حافة علبة الكبسولات . ثلاثة أو أربعة . ينظر إليها ويضحك : أية قوى ظاهراتية يمكنها أن تتكشف عن طريق هذه الأقراص الطيبة التى لا يكون لها معنى إلى أن تصل إلى أعماقه ، إلى هذا الجسم القوى الذى رآه لتوه ؟ لا معنى ، لا معنى حقاً .

يضغط على زر الضوء . تأخذ الحجرة فجأة شكل ظلال الأثاث . سوف تقبع الظلمة بازدياد فى الأركان ، فى الطيَّات ، وتتركز .

صوت سيارة ، مسرعة .

هناك أيام لا يستحم فيها . يبقى جلده منطفئاً ، وشعره متداخلا . يداه ثقيلتان بسبب رطوبة الأمس . يشعر بنفسه متسخاً ، لكنه لا يقوى على فتح صنبور البانيو : بالأحرى ، لا يقوى على إيقاف جريان الماء ، لا يقوى على دخول البانيو ، لا يقوى على البقاء فيه ولا الخروج منه ، لن يقوى على التقاط المنشفة ليجفف نفسه ، لن يقوى على الذهاب إلى الدولاب ليختار الملابس . لم يعد يعرف كيف يختار الملابس . لم يعد يقوى على شئ . عمره واحدٌ وعشرون عاماً .

كان بإمكانه ألا يكون وحيداً .

كان بإمكانه أن يكون جميلاً ، كان بإمكانه أن يكون أنيقاً . لكنه

يرتدى « بلوفر » مهلهلاً ولا يمكن الإمساك به إلا بحركة واحدة . يرتدى البنطال الذى بقى على حافة السرير . يرتدى قميصاً نظيفاً ، لا يهم أى قميص هو ؛ فى نظره ، لم تعد للقمصان ولا للأشياء ألوانًا .

هو لا يبالى بشئ لقد نأى بنفسه عن كل شئ . من فوق ، لم يعد شئٌ يمسك به . يتمنى أن تختفى الأرض لكى يسقط ، أخيراً .

لم يعد ينظر للأشياء . بالنسبة له ، كل الأشياء متناثرة ، كل الأشياء فى فوضى . وحده الموت يمكنه أن يجمع كل شئ . وحده الموت يمكنه أن يكون رحيلاً نهائياً إلى حيث لا شئ يُخيف . للموت بساطته : يوم يمر ، وكائن لا يتبعه ؛ كائن يبقى فى الفجر ، منطوياً على نفسه كدودة .

اليوم ، هو مايزال موجوداً فى هذا العالم الضئيل. اليوم ، لن يقوم بفعل شئ ، إنه ساكنٌ، غير أنه يشعر بانفعال، باستثارة، بزلزال داخلى .

لم يعد يتوجب عليه فتح النافذة . يكره النهار بأزرقه الباهت . يكره النهار بسمائه التى لا شكل لها – سمائه المتروكة فقط لحدود الأرض .

مازال ينظر إلى معصمه ، يحك خط الدم الناشف بطرف ظفره . يقول لنفسه إن كل هذا كان بإمكانه أن ينتهى ، يقول لنفسه إنه كان يمكنه أن ينجح فى ذلك ، وألا يحظى بالتنفس ثانية وثانية ، وأن لا يحظى بتفاصيل أركان هذه الشقة التى يعرفها جيداً ؛ وأنه لم يكن ليظل باحثاً عن المخرج .

أحياناً ، يرتمى فوق السرير . لا يقدر على القيام بحركة . يترك نفسه كما هو ، وسط النهار ، على الغطاء المكرمش . لا ينام ، يتأرق .

الاستيقاظ وحشى أيضاً . يفتح عينيه ليرى أن النهار لم يتلاشَ بعد ، ينتظر . لا يملك الشجاعة الكافية للقيام بحركة واحدة تسمح له بمعرفة الوقت .

يتكون المنبه من عقربين ، أحدهما أقصر من الآخر ، يلفان فى دائرة . المنبه قديم . إرث .

يقوم . لحظة ، ويقول لنفسه : « أود أن أعيش قليلاً» . ثم يشعر بألم ، ألم لا يمكن وصفه . لكنه إن لم يقاومه بعد هذه الإغفاءة العميقة سيجعله يتقوس ، يركع ، يسقط على الأرض . ومازال تلزمه ساعات لكى يعاود النهوض .

سيأتى الليل . يقف أمام الستائر . على الرصيف تمر امرأة عجوز . بعد برهة ، توقفت لتسعل ، ثم رفعت ياقة معطفها شديد القدم . بكى .

فى الليل تنام المدينة نوما عميقا . وحدها بضعة علامات أخيرة تظهر فوق العمارات غير الواضحة . منتصف الليل : سواد شديد ، بلا نجوم ، فقط سحابة مستديرة من اللبن - القمر .

يفتح زجاجة نبيذ تركها أبوه فى الشقة ، يشرب السائل جرعة واحدة . الأكواب بعيدة جدا . يستخدم السكين ، السكين نفسه الذى لا يضعه مكانه أبداً ؛ ليقطع خبزاً ناشفاً ويضيف إليه شريحة سميكة من الزبد . يأكل فوق الحوض ، يترك الفتات يستقر فيه ويصبح طرياً فى هذا العمق الرطب .

ثم الليل ، فيما بعد . الليل الذى تبدو فيه المدينة نهاية للعالم ، لكن النهار يأتى بسرعة : صار الهمس صراخاً بالفعل ، الضوء يتصاعد .

سيعاود البدء .

« فى أعماق بئر فى الأرض وفى سرير من الخشب، تقع جمجمته، هذه الحصاة الكبيرة ، ستكون صلعاء وباردة ».

« فى كل أسرة راحلة نحـو كهفـها ، واحدٌ يمـسك بالمظلة ، والآخر بزهرة فى أصيص زرع ».

« فى يوم عيد القديسـين ، يتكدس الناس فى المقابر ، يزينون الشواهد السوداء أو الرمادية بالألوان . إنه ربيع الموتى ».

كان مايزال يرغب فى تخيل أن أميراً جميلاً يمكنه أن يخرج من وسط الظلال ، ويقترب من وجهه الشاحب ، ويضع قبلة خفيفة على شفتيه الورديتين - وينتهى الجحيم . سيصبح الصخب همساً ، ستتلاشى الغمامة ، وستتحول إلى وشاح طويل متبختر فوق النهر ، وصافٍ .

مازال يتخيل أن أميراً جميلاً يمكنه أن يتسرب إليه ، أن يقرضه قوته وشجاعته .

هذا الأمير الجميل لا يمكن أن يكون غير الله . غير أن الله ينام نوماً شديد الأبدية فى تابوته الأزرق اللدن من السحاب - السماء ، فى الجهة الأخرى .

يريد ذرة حياة . ذرة حياة يمكن للمرء أن يحتفظ بها بين شفتيه .

يريد أن يهرب من هذه القصة : يريد قرية يكون فيها النهار نضراً ، قرية توقظه فيها كلاب الصيد ، فى حالة ترصد . قرية ينبغى فيها الاستيقاظ مبكراً ، التسكع نهارا ، عبور الغيطان التى مازالت منداة حيث أعشاب طويلة تتمايل . قرية يئن فيها باب حظيرة عند الغروب ، تمسح فيها خطواته الأرضية الخشبية ، ويداه تلاطفان أثاثاً قديما وقوياً استقر فيه الزمن .

يريد حافة جزيرة فى مساء صيفى . طريقا يتلوى وسط التلال ، يمتد إلى مقبرة شديدة الصغر ، شديدة القدم والجفاف ، وينتهى إلى بيت يطل على البحر . سيكون مساء جميل ذات صيف ، والسماء مبدورة بالنجوم . على ضفاف البيت ، ستكون هناك شرفة واسعة بها مصباح غاز يحترق مازال على الطاولة ، وبعض من المكسرات وكوبان بحواف مسكرة وكحولية . . بلا صخب ، اللهم إلاصوت الأمواج التى تتمايل كل مرة

أعلى قليلا على الشاطئ. بعض الحشرات تئن حول الضوء. نافذة مفتوحة ، الدفء ، بالداخل : مقعد تغطيه الملابس ، سجادة صغيرة ، وحواف سرير فى الظل. الأغطية مطوية برفق. ربما ، تكون هناك حركة، خفيفة .

يريد قمة جبل. عليه كوخ يشبه نقطة. بسماء مخططة بجليد أبدى.

الكثير من الأماكن للفرار . الكثير من الأماكن التى يبحث عنها فى رأسه كأنها مهدئ . أماكن بسماوات شفافة . أماكن تعزف ألحاناً موسيقية حانية وأسيانة تشى بالراحة . أماكن لا يلزم فيها التفكير فى الحياة ، فقط أن يترك المرء نفسه تتلاشى برقة وبلا قلق. ألم . . .

إنها لا تتراءى له كإمكانية ، ولا كبديهة . إنها أحلام ؛ الواقع ثقيل جداً . اندفاعه لا يرضى بغير الموت . لا يريد شيئاً آخر . لا شئ غير هذا الاندفاع . غير شنق الوقت .

هو ذاك : شديد الاستعجال أمام أشياء الحياة الممتدة هذه . شديد الاستعجال أمام ترتيبات اليوم ، شديد الاستعجال أمام انتظار إجابات ، شديد الاستعجال بالنسبة لهذه التصرفات البسيطة التى. . تصبح بالنسبة له، وبصورة غريبة ، معقدة : المرور أمام فترينة ، استرجاع الباقى ، الدوران . . .

وحده قتل النفس لا يحتاج إلا للحظة فقط .

فى رأسه ، يتذبذب الوقت ، يتسع ثم ينكمش ، يعطى للوقت اسم الجنون .

يمكنه أن يبتسم ، أن يأمل فى كل شئ ، أن يقفز من شدة الفرح ، لكنه فى اللحظة التالية يجد نفسه أمام علبة الأقراص فى زاوية شفتيه .

فجأة ، الدوار ، واختلاط الأمر . شئ مخيف ، باعث على التوتر ، وكلمات لا تعبر عن شئ من هذه الحالة . إنه احتلال ما . قلق ما ، أشكال من القلق ، حروق مزمنة ، حرارة لا تنتهى . تثور بداخله ساحرات شريرات ، هيستيريا تنفضه ، تزعق فيه ، تضربه ، تصرخ . ضغط لا يمكن تحمله لا يستطيع قوله ؛ لا يستطيع وصفه . إنه متجاوز للحد . فزع .

عادت له من جديد ، هذا المساء ، مساءات أخرى بعد هذا الجرح الأول الذى بدأ يتلاشى، عادت له الرغبة من جديد فى الانتحار المفاجئ . الرهان : عدم الفشل ، عدم النزوع إلى محاولة وحيدة .

يفكر فى الترام. أسفل الترام. لم يعد ينتابه التراجع المناسب لأن يقول : « الترام ردئ جداً . متسخ جداً». تذكر فقط أنه ذات يوم سابق توقف الترام فجأة، وألقى السائق بكلمات : «انتحار» ، «تجمُّع» ، « انتظار» ، «ربع ساعة بالتأكيد » . خلف زجاج الترام ، رأى المساعدات تنفضه ، رأى نقالة مغطاة بغطاء بنى . ليست سيارة اسعاف هى التى حملت « الآخر» . وضعوه فى شاحنة بوليس صغيرة ، تحت ذلك الغطاء ، كان يوجد زميل لن يعرفه أبداً .

عقارب ، على ميناء الساعة ، تقول أن الوقت بعد منتصف الليل بعشرين دقيقة . يرتدى معطفاً ، يفتح الباب ، يخرج ، يجرى ، ويجرى .

يتدافع . إنها اللحظة الخطرة التى يكون فيها كل شئ أفضل من التأجيل . كل شئ ، يساوى الموت على القضبان .

تتدلى بعضٍ مربعات الضوء فى الليل . فى هذه المربعات تمر ظلال : مسهدون أو مؤرّقون .

تتوقف سيارات أجرة بالقرب من باب عمارة ، وتعاود الرحيل بعد أن تكون قد تركت زوجاً من الناس ، أو شخصاً بمفرده يخرج مفاتيحه . يتوقف الضوء عن إضاءة عامود من الأدوار .

يجرى ، يندفع على الطرقات . يأمل أن تظهر سيارة فجأة ، تقلبه ، تقيه الذهاب إلى خط الترام .

غير خائف . غير خائف من ذلك .

يعرف أنه لن يتردد .

البارات مغلقة والشوارع فارغة . العمارات قديمة تبدو كمقدمات سفن مظلمة وراسية . سفن لن ترحل أبداً . إنها تخفى أجيالاً من الدمى البشرية لن يقوموا إلا بالمرور ، كأنما فى فندق .

يصل إلى وسط المدينة، يلمح خط الترام ، ينظر إلى أضواء بعيدة ، وميض طائرة ، السماء السوداء، يقترب من القضبان ، شعر بهدوء نفسه ، غيابه عن نفسه : لن يعانى . ليس أكثر مما عانى .

لكن فى تلك الساعة كان آخر ترماى قد مر لتوه . انفجر من الضحك ، بقوة ، عن بعد . انفجر من الضحك وأخذ يبكى .

يستيقظ ظهراً . بدأ العالم بالفعل هذا الثالث من نوفمبر . ببطء يتذكر مساء الأمس . يقول لنفسه : « ما كنتش فى وعيى ».

كان يكفى أن يمر ترام أخير حتى يعجز اليوم عن ملامسة سطح ملاءته ؛ لكى يكون رداؤه الوحيد اليوم هو ملابس المستشفى ، تسجنه كاملاً ، تخفى جسمه المخدوش ، بلا زينة ، والمتصبب عرقاً .

ينتابه فزع الآن أمام هذه الصـورة المحددة . لا يدرى إلى متى . فقط يقول لنفسه ، وبجدية تدهشه : « أحب أن أعيش ، أحب الرائحة الحارقة لهذه الحجرة ، أحب الإنصات لمرور السـيارات ، ومرور القطارات بعيداً . أحب الصفحـة الأولى والسطر الأخير . أحب كلمة «بـلسمين» (١) وفعل «يترد»(٢) .

أحب الماضى الناقص والمركب. أحب التفكير فى قطط تبدأ فى المواء، أفكر فى الموائد التى تنتظر ضيوفهـا ، أفكر فى الصيف المقبل . فى الصيف المقبل ، سأكون أحسن حالا . أحسن جداً : سيمكننى فعل كل شئ » .

ينهض ، ويبدأ بسقى النبتة الخضراء . كانت أرضها شديدة الجفاف .

يفتح السـتائر ، يفـتح زجاج النافذة ، يفـتح الشيش ، يتـرك الهواء ليدخل الحجـرة . يشعر ببرودة خفـيفة ، لكنه يعرف أنه لن يصيـبه الزكام أبداً. لم يكن أبداً مـريضاً بصورة حـقيقـية . لم يكن أبداً مريـضاً بالمعنى الذى يفهمه الآخرون : لا برد ، لا شعب ، لا حرارة يقرأها الترمومتر .

إنه مرح لدرجة تجعله يتوقف . تجعله يتساءل إن كان يمكنه الاستمرار هكذا . إن لم يكن سيـزداد إظلاماً . يخشى ألا تكون لحظة السـعادة هذه إلاَّ قمة جبـل . يخشى أن تكون فاتحة سقوط أكـثر انحداراً ، بداية لخطوة أخيرة تشبه قفزة. يخشى هوة جديدة ، هنا ، أمامه ، فى التو . يخشى ، لكن شيئاً لا يأتى . ذلك يطمئنه ، برهافة .

يستمر فى ذلك طيلة النهار . لكن هذه السـعادة فاسدة إلى حد ما : مازال يشعر بالخـوف ، خوف من أن يأخذ منه الزمن كل شئ ، خوف من أن يسقط مخزن خردة معدنية فوق رأسه ويدوى على الطريقة التى يمكن بها كتابة كلمة : النهاية .

---

(١) نبات زينة جميل الأزهار مختلف الألوان .
(٢) أى يتعود على تعاطى السم .

شرع فى الإحســاس العجيب بالأمل الذى يعتــرى جنباته ، الذى لم يعد يتركه ، الذى يعانقه . شعر فــجأة بالرغبة فى أن يصبح عجوزاً : هذا يعنى «أن تحيا» .

بقى هكذا حتى المساء ، حتى أثناء الليل : لم يعد يرغب فى النوم ، يرقص وحده ، كل حركاته غير منتظمــة ورقيقة ، ليس كل هذا إلا عملية إبعاد عن السرير ذى الأغطية المطوية .

يرغب فى الصــراخ ، أن يصــرخ من الســعــادة ، يصــرخ طويلاً ، صرخة كـضحكة لا تنتهى . ، أن يصرخ ويوقظ الجـيران. يصرخ وينذر . يصرخ : «نحن . . . ».

يقول لنفســه أنه سيعود إلى الجــامعة ، أنه سوف يلتــقى بأصدقائه ، سوف يحضــر محاضراته ، سوف يســخر من الأستاذ الذى يشد شــعيراته الباقية على رأسه الصلعاء .

لم ير أحداً منذ ذلك المساء الذى تركهم فــيه كعادته ، والذى لم يكن يعرف فيه أنه بعد بضعة ساعات ، سوف يأخذ سكيناً بسيطاً ، أكثر بساطة من أن يقطع .

لقد فكر فيــه مرات عديدة بدون أن يحاول شيئاً . فكرة تــتحدد حينا وتتبــخر حيناً . فكرة كأنهــا توقف مفاجئ لحــصان ، كأنها اعــتزال . إلى المساء الذى تلاشى فيــه التفكير ، إلى المساء الذى لم يكن يحــسب فيه إلا الفــعل ذاته ، الفعل البــارد ، وقد اتخــذ مســافة من كل شئ . فــعل لا يستوجب أى انتظار ، أى تأجيل. أمــسك بالسكين ، وأعمله فى عروقه ، وضغط ، وهو مجرد وخزة بلا ألم .

لم يعد يفكر فى السكين . لم يعد يفكر فى وضع حد . يقول لنفسه إنه سوف يعمل ، فيما بعــد . سوف يتزوج . وإن أطفاله لن يكونوا مثله

أبداً ، بل ولا أحد . أنه سوف تأتى أيام وأيام ، ساعات وساعات ، لكنه لن يلحظها ، سوف تمضى بينما يكون منشغلا . سيعيش كما يريد .

الغد ممهدٌ .

هذا الأحد ، سيفاجأ بنفسه يخرج . يستقل سيارة تغادر المدينة لتصل إلى شاطئ المحيط يضع قبعة حمراء . ويمسك بكاميرا بالقرب منه . من وقت لآخر ترسل الممرات ذات المستويات طنيناً عصبياً من الخارج . سرعان ما يصيبه التعب . ينظر إلى السماء ، ساطعة ، شتوية .

فى الشوارع ، يجد شيئاً غير مؤكد فى كل هذه الوجوه المتقابلة ، التى تلمح بعضها البعض ، لكنه يمسك به ، شئ كالدفء ، كالطمأنينة ، تنهيدة فى الهواء .

ينظر إلى المحيط حتى نهايته . يتخيل هذه الأراضى شديدة البعد ، أراضٍ لا يعرف إلا أسماءها وبعض عادات سكانها . يدرس التاريخ والجغرافيا ، لكنه لا يعرف مكاناً آخر ولا بلداً آخر . فيما بعد سيعرف ... ذات يوم .

ذات يوم سيعرف أى إحساس يسببه عبور المحيط ، حركة السفينة ، الخوف من العواصف والنشوة أمام سماء رقيقة .

اليوم ، لا يعرف إلا مدينته ونهر اللوار ، والمنظر من الميناء الموجود منذ وجود كنيسة «سانت – آن» . اليوم ، لا يتوغل إلا فى هذه الأماكن ؛ ثم يعود مسرعاً .

لا يعرف إلا ممراً واحداً ، قصيراً ، على النهر . الممر الذى صنعته المعدية ، ممر طفولته هذا حيث كان ينحنى ليرى المدوسات (٣) ، حيث كان يستنشق الهواء ملء رئتيه ، هواء الصيف . والمعدية التى كانت تذهب من حظيرة لأخرى ، لم تعد موجودة .

(٣) حيوانات بحرية هولامية تضيئ فى الليل .

يعود مستقلا آخر قطار ، قرب منتصف الليل ، تمر السيارات على امتداد حديقة قصرها مضاء . يرفع قبعته ويراقب هذه المدينة ، مدينته ، التى تنام .

منذ قليل ، فى نهاية ما بعد الظهيرة ، عزفت أوركسترا موسيقى أمام المحيط مذبذبة ، راحلة فى الماء .

جاء النهار . جبهته قبالة زجاج النافذة البارد ، يفكر أن بإمكانه أن يلحق بأصدقائه فى المقهى المعهود ، مقهى تتداخل فيه الكلمات والأفكار، بلا مستقبل ، فقط لمتعة الإلقاء ليست له رغبة ، تبقى نظرته ثابتة ، وفى نظرته يمر البشر .

بين نافذته والشارع ، حديقة صغيرة بها شجرتا بيلسان ستتطلبان زمناً طويلا لكى تكبرا . ستأخذان زمناً .

يفكر فى وضع حد ، لا يعرف لأى شئ . ربما لهذا الصمت الذى يستقر حتى بداخل البيانو ، الذى جلبه من بيت أهله ، من بيت الطفولة .

يتساءل . أى صوت يكون لماكينة الخياطة اليدوية ؟ إى صوت لها بالضبط ؟ صوت قعقعة ، محدودة ، سريعة ، قعقعة مباشرة لدرجة يجب معها مد الأذن بوحشية، مثل عقرب الساعة الذى يمر على منتصف الليل ، أم صخب شديد لماكينات تدوى فى المصانع، فى قاعات المصانع الواسعة ، بقعقعاتها الحديدية ؟ انقصاف ؟

ثم فجأة ، الإرهاق من جديد ، الإرهاق المضنى . يصيبه الإرهاق منذ شروق الشمس إلى غروبها ، ينتابه هذا النعاس الذى لا راحة فيه نعاس ضد أى فعل ، ضد أى إرهاق مادى . لم يعد يعيش ، إنه ينام ، يترنح .

يحس كأن هناك هوة فى مخه . يشعر بخراج طرى متحرك يجرى فى جمجمته . إذا ما انفجر سيغيم وجهه ، يحمر ويتكرمش ؛ تنزلق وجنتاه ، بسبب العينين اللتين لن تستطيعا البقاء جافتين .

ليست لديه رغبة فى شئ. ولا قوة على فعل شئ . يشعر بالاشمئزاز من كل شئ حتى الخمر يبدو له كماء كالح ، حتى التبغ يعطيه شعوراً برائحة البول .

اشمئزاز مزمن ، يتضرع إلى السرير ليغلق فيه عينيه ، ليختفى من أمام نفسه ، ليجد الثقب الأسود الذى تخرج منه ولا تعاود الدخول . اشمئزاز مزمن ينزعه من كل شئ ، يقتله .

الأمر خارج إرادته ، لا يعرف من الذى جعل حياته مرضاً ، حياته التى ليس فيها شئ أكثر مأساوية من حيوات الآخرين ، التى لا تعد ولا تحصى .

ينظر إلى نفسه فى المرآة ، يرى عينين تتفحصانه ، يقول : « أنت تشعر بالقوة ، فجأة ، كسهم . ثم سرعان ما تحس بها تنفلت ، تحس بها ترحل ، تسقط - كجرعة ثمينة انقلبت لتوها من قارورة».

« أنت لا تعرف ما هو هذا الشئ الذى يجذبك إلى أسفل ، يصلب جسمك ، عضلاتك ، لا تعرف من أين ينبعث هذا الحاجز الذى يأخذك من أعلى الرقبة وينزل إلى ساقيك المضمومتين ».

« أنت تشعر تحديدا بالأمل فى لحظـة تسيل ، ولا تعود تنتشى . أنت ميت بالفعل ».

هذه الظهـيـرة ، يرتب الأكـواب فى صف والأطبـاق مـتـقـابلة فى الدولاب . يغسل الحـوض ، يغسل الطاولة ، يمسح الأرضـية . يضع كل الأقلام فى المقلمة ذاتها ويغلقها قبل أن يضعها فى ركن . يرص فى المكتبة كتباً كانت مـبعثرة . يسقى النبتة لعدة أيام قادمـة . يعيد ترتيب السرير . يتأكد أن كل شئ فى موضعه فى الدولاب .

يرغب فى تنظـيم كل شئ ، وضع كل شئ فى مكانـه ، فى ترتيب كل العلب .

يرغب فى ترتيب نفسـه . فى وضع نفسه فى علبة ، كدمـية شديدة الهشاشة . لكنه يرى أنه ليس للبشر من علبة غير القبور .

يلتفت إلى البيانو ، يلمسه لمساً خفيفاً كأنه يلاطفه، ملاطفة صامتة . بخفة شديدة ، لا يضغط أكثر .

بالجوار ، أعلى قليلاً ، تسكن مـدام لبسكوت ، الجارة ، تنصت بلا كلل لأغـانى شارل أزنافـور . تغنى مع الاسطوانة ، صـوتهـا يحيـد عن اللحن لكنها تستمر ، تغنى .

فى الظهيرة ، غالباً ما تستـقبل مدام لبسكوت صديقة لها . لا توقف تشغيل الاسطوانـة ، يرتفع صوتها أكثر . تكونان بـلا شك جالستين ، لا تتحدثان ، تنصتان بينما تشربان الشاى .

لا يمكنه تلخيص ما يفعله فى النهار ، لا يمكنه إلا عد بضعة أفعال ترهقه .

لم تعد له رغبة فى الحياة . ينتابه ثقل فى رأسه ، فى حنجرته ، فى رئتيه . ثقل يحتويه ، يجعله ينتفض، لا يستطيع التحدث عنه إلى أحد . إنه يفوق الكلمات .

ما هو أسوأ : أن هؤلاء البشر المبتهجين بطبعهم ، هؤلاء البشر الذى لا يعرفون إلا صدمة الكآبة ، هؤلاء الذين لا يستطيعون إلا أن يتخيلوا ما هو اليأس وأنه شئ بسيط ، مشكلة بسيطة ، يسمحون لأنفسهم فى النهاية بإلقاء هذه الكلمة العبثية ، كأنها حل ، الكلمة الفارغة من كل معنى : « التعقل» .

يتذكر هاتين المرأتين اللتين كانتا تستقلان الأتوبيس . الواحدة تُسِرُّ للأخرى :

- واحد من اصحابنا مَّوت نفسه . اندهشنا أنا وزوجى . كان عنده كل حاجة تخليه سعيد : بيت حلو ، زوجة رائعة وشديدة الرقة ، وأطفال زى الملايكة .

والأخرى ترد عليها بينما تقضم أظافرها :

- فيه ناس نفوسها ضعيفة . دا الواحد مع كل مشاكله ، إلا إنه لحسن الحظ . . .

لم يعد ينصت إليهما ، قال لنفسه : « إنهما لن يفهما أبداً ، إنهن خُلقن ليتلقين الموت ، ولا ينشطنه . خُلِقن لتصيبهن الشيخوخة ، ولا يفكرن فيها . إنهن دائماً مسرورات .

مسرورات لدرجة تجعله يغبطهن ، يلتفت إليهن ، يرغب لو يسألهن «كيف» . يصمت . الصمت خلفية للبشر الصاخبين . الآذان مشدودة ، غير متحفظة . التفكر بالفعل فى الزمن الآتى ، زمن مثل حشرة بأرجل

سريعة ، وقد أتت لتصطاد اللحظة . اللحظة التى هنا . مختل إذا ترتيب هذا الزمن ، منفجر إذاً هذا الزمن . زمن نهائى .

مرتا أمامه ، نزلتا من الحافلة . لم يعد يرى على الرصيف إلا شبحين ثرثارين ، بدينين ، تشيحان بذراعيهما ، والحافلة ترحل .

يفكر فيهن : كانتا تريدان ميتة لها أسباب ، ميتة تعلن عنها الشيخوخة، أو المرض ، أو ربما حادثة . أما الموت الآخر ، الذى يواجهه، موت أحمق ، ما لم – هذا ما فكر فيه للحظة – يغرق العقل بعيداً ، فى حالة غرقه . ولسببٍ لا يكون فى متناول يد .

يفتح يده ، أصابعه متباعدة ، ينظر إلى بطن كفه، يرى خط عمره ، طويلاً ، طويلاً .

عليه أن يترك رسالة ، تفسيراً . لكنه لا يستطيع تفسير شئ . لن يمكنه أن يترك إلا كذبة ، افتعالاً ما .

بل ولا يملك الشجاعة فى أن يجعل أحد يصدق فى جملة مثل «إلى اللقاء». لن يكتب شيئاً . سوف يتدبرون الأمر .

يعرف أن الموت لن يكون نهاية إلاَّ له : فى الأيام التالية سيسأل موظفو المحافظة عن حالته الاجتماعية وسيدونون بيد معتادة على الكلمة بحروفها الستة : «متوفٍ» (٤) . فى الأيام التالية ، سيطلب مسؤولو الدفن تصاريح وإمضاءات ، سيعد أصحاب محال الزهور بضعة باقات ؛ وعلى بطاقات تعزية سيبعث بعض الناس بجملة أو جملتين لعائلته .

---

(٤) décédé ستة حروف بالفرنسية .

سيمر يوم أو يومان انتظاراً ، ستكون هناك مشرحة يجهزه فيها شخص لا يعرفه ، ولا هو الآخر يعرفه . مشرحة فيها صباح أخير ، يضعونه أثناءه فى مهد من خشب الصنوبر ، مهد طويل سينقلب عليه . ربما تكون هناك كنيسة بأراغين وأرائك تقعقع ، ومحبون للمعمار يخرجون لكى لايزعجوا المراسم . ثم المقبرة ، تسير الشاحنة الصغيرة ذات الشرائط السوداء ببطء على الحصى ، الموكب بالزى الرسمى ، والهامات محنية .

كل ذلك من أجل شخص لن يعود له وجود ،وهو راغبٌ فى ذلك .

لا يشعره بالخوف أنه لن يكون مشاركاً فى هذه اللحظة القاسية ، فى هذه اللحظة النهائية التى قد يكون بمقدوره أن يقول فيها لنفسه : « كان كل شيئ ما يزال ممكناً . لماذا فعلت ذلك؟» .

سيكون قد فات الأوان ، فات فى شكل مربع محفور فى الأرض ، سيثبتونه هناك ، فى ردائه الخشبى ؛ سوف يغطونه ، يزيدون ثقله بالرخام . سيبقى هذا الرخام ساعتها ، ولسنوات متتابعة ، زينته الوحيدة - غطاء رأس صلب ورمادى ممدود على الأرض ذاتها ، ببعض زهور للتجميل ، وتاريخين شديدى الاقتراب من بعضهما البعض سيندهش لهما المارة .

لم تعد له قصة . إنه لم يرتبط إلا بألمه الخاص ، بغيابه الخاص . يعيش فى دغل .

إنه قريب جداً من هذا الغشاء الذى يفصل الحياة عن الموت ، ويدرك أنه شديد الهشاشة . إنه أمامه . يكاد يعبره . يكفى لذلك حركة .

ليس بمقدوره أن يعرف ، إنه يخمن . يخمن أنه لم يعد يبقى سوى أيام ، ربما ساعات . يخمن أنه خلال شهر ديسمبر سيكون فقيداً .

يلمس خصلات شعره ، يلمس جبينه ، أنفه ، وجنتيه يُرعِش إصبعه

شفتيه . يلمس ذقنه ، رقبته . يلمس كتفيه ، يترك لبطن يده أن تقابل جلده ، لكنه لا يشعر بشئ .

استلقى على الفراش ، بسيجارة بين أصابعه . ثم لم تعد له القدرة على الإتيان بحركة عكسية تقود أصابعه إلى شفتيه . ترك يده على حافة جسمه . أغلق عينيه . تحركت يده ، تركت السيجارة الآن علامة حمراء على الغطاء .

عندما استيقظ ، التفت قليلاً إلى نفسه ، يمد ذراعيه ويترك ليده أن تسقط : ذلك لفتح الراديو. فى الحال، الموسيقى، الأصوات التى تتوالى ، أشخاص فى حالة حيوية . أغنية جعلته يبتسم - كثيراً ما يبتسم ، فى أغلب الأحيان ، وليس فى ذلك ذرة من التناقض .

فى يوم مضى ، وعلى نفس الموجة ، أنصت إلى سجال . كان أشخاص شديدو الجدية يتحدثون عن ال « سيسيد » . السيسيد ؟ إنه لا يعرفه .

ينتظر انفصالا أو هبوطاً يتتابه عندما يرن الهاتف . تساءل عما إذا كان سيجيب . لم يكن يرغب فى هذا الصخب ، ليس اليوم . يرفع السماعة، الصوت حى ، يقظ طبيعى .

يخرج الصوت الآخر إلى أذنه ، نسائى ، صوت لم يسمعه أبداً . بعد لحظة ، يصير مشعاً - الأمل فجأة ، الأمل فى معجزة : شخص لن يتعرف عليه ، لكنه سيعرف عنه كل شئ ؛ شخص سيأتى فجأة لينقذه ، شخص سيعرف كيف يقوده ، يجره ، شخص سيعرف كيف يعيده إلى . . . إلى العالم ، إلى الحياة .

لكنها ليست سوى موظفة فى الجريدة التى كتب إليها طلباً لعمل

بسيط على الطرف الآخر من الأثير ، المرأة واثقة تعرض عليه التوزيع الصباحى لجريدتهم اليومية المحلية .

يجلس ، ينظر إلى البيانو فى عمق الحجرة . يقول : «لا» . يقول إنه مشغول جداً ، وإن عنده «حاجة تانية» .

يشكرها . يعتذر . تقول إن الأمر « بشع فظيع» .

يمشى لفترات طويلة . يفكر فى هذه الـ «لا» التى هى لا لكل شئ. هذه الـ «لا» التى تعتبر « لم أعد أرغب فى الخروج » .

يلف فى دائرة ، يصطدم ببعض الجدران ، بالأثاث . أنعشه البطء . كل واحدة من حركاته بطيئة . متأنية .

يتوقف ، يقف بالقرب من البيانو ، مضطرباً . عندما كان طفلا ، تمرن لفترات طويلة على قراءة الألحان الموسيقية . عزف كثيراً .

عندما كان طفلاً، كان يسمع الصبية يتشاحنون فى الشارع. بينما أصابعه تكمل المقطوعة. كان يقول إنه يفضل مكانه أمام البيانو، ويقول إنه لم يكن يرغب فى «خروجات» بعد ظهر أيام الأربعاء . ويترك لسبابته أن تنزلق ببعض اللمسات . بعض النقر الحاد ، المتفرق . نقر كأنه نقاط فى الهواء .

ذات يوم ، تطلع تفكيره إلى قاعات الكونسير ، إلى بيانو وحيد على خشبة المسرح ، بيانو يخصه ، وجماهير لا يأتون إلا من أجله. ذات يوم فكر فى هذا الـ «شئ» العظيم الذى سيختتم بالتصفيق واحمرار الوجنتين . شعور ليس له مثيل . سعادة ليس لها مثيل . لم يفعل شيئاً من أجلها ، ولا ضدها ، لقد حلم بها فقط .

هو ، هذا الكائن شديد الضآلة ، حلم دائماً بأشياء كبيرة ، بأشياء أكبر من عظيمة ، بالقمة. شئ يشبه الأزمة لكنه ليس إلا فرحاً مبالغًا فيه، متعة فى حالتها القصوى .

دائما ما فكر أنه لن يحب أبداً بما فيه الكفاية .

هذا المساء ، لم يعد يحتمل النظر إلى ضيق الحجرة ، لايحتمل النظر إلى موضع سريره ، ولا النظر إلى الموتيفات التى اصفرت فى السجادة .

يبحث عن ذلك المكان الذى يحبه ، المنعزل قليلاً ،فى الركن ، هذا المكان ، فيه مكتب ، مصدر واحد للإضاءة هو مصباح صغير جداً ، خافت. فى بعض الأحيان، يتمنى لو يجد مناخ الشموع والحجرة الباردة . يبحث عن منفى ، مثل هذا المكان الحالك حوله ، هذا المكان الذى يخفى كل شئ عن النتوءات ، عن المنقول . هذا المكان الذى لا يحدث إلا على سطح طاولة من الخشب ، فى مساحة الضوء البرتقالى الذى ينبعث من الأباجورة .

يجذب ورقة وقلما. يدون : « أنا لا أريد أن أكون موزع جرائد». ثم يطوى الورقة ويلقيها .

لا يرغب فى وسيط .

كل لحظة تبدو له نهائية . كل ثانية تدق تمنحة التفكير فى القطيعة .

جمجمته تسبب له الألم لدرجة تجعله يريد أن يزيحها بمقصلة . يحلم بالموت فى ميدان عام .

يريد الأسوأ أو الأحسن ، يريد الطرف الأقصى .

عندما كان طفلاً ، كان يخترع لنفسه حيوات عجيبة ، كان يتخيل أنه عندما يكبر ، سيتخلص من كل عصبيته : سيكون وجوده عنيفاً وقوياً ؛ سيكون غير قابل لأن يهان .

وحده إذاً ، فى بيت العائلة ، هذا الطفل الصغير الذى يراه ، شديد القرب منه فجأة ، يترك هذا الطفل البيانو ، ويبدأ فى عبور الغرف جارياً وهو يصيح . لمْ يسمعه أحد : وحده كان يعرف أن هذه العصبية ، هذه الثورة المفاجئة ، ستدوى بداخلة مع مرور الأيام .

ووحده هزيم الرعد ، أو هياج الأراغين فى كلتدرائية المدينة يمكنه أن يهدئ من ثورته .

يتذكر كل طموحاته التى لم يكن لها حد ، وهذا الشعور الغائم الذى كان ينتابه والذى كان يؤكد له أنه ذات يوم سيلقى تغييراً جذرياً . سيصبح قوياً .

يتذكر كل أوهامه التى دفعته لأن يكبر ، ويتساءل عما قد يكون تبقى منها ، اليوم .

فى الفصل كان هادئاً ومستذكراً لدروسه ، لكن هذا القناع الأبيض كان يخفى رغبات هادرة كثيفة وعنيفة ، لدرجة لم يكن يستطيع تخيلها غير الهادئين المستذكرين لدروسهم .

يبدو مستكيناً فى الظاهر ، جالساً أمام هذا المصباح الصغير الذى يضئ فوق الطاولة . يرفع يده ، يفتح أصابعه قليلاً ، كبتلات زهرة . يبحث عن أنبوبة الدواء . يحترق .

فى اليوم التالى ، أتته مكالمتان أخريان .

صديق يسأل ببساطة :

- إنت مش جاى تانى المحاضرات ؟

يجيبه بـ «بلى» سوف يأتى ؛ أما الآن فقد وجد عملاً يزحم كل صباحاته. يحدد : «موزع جرائد» يرى الآخر أن ذلك حسن، ويضحك .

أما هو ، فلم يعد ينصت . يمسك بالسكين ، يضغط بين سبابته وإبهامه الحافة الباردة . يضحك أيضاً . يضحك لأنه يكذب . يجب أن يكذب ، لكن كل واحدة من كذباته تحتوى على شئ من الحقيقة لا يلاحظها أحد . الكذبة هى حدوده البارزة . يترك للآخر أن يغلق السماعة أولاً . لم يسمع الصوت الذى يقول «إلى اللقاء» . منذ دقائق ، لم يكن هذا الصوت إلا خلفية صوتية ، صخب . ضجة .

ثم اتصلت أمه . تقول له إن كل شئ على ما يرام . وإن أباه ذهب للصيد. هو إذا يوم الأحد . لم يعد يتعرف على الأيام .

كان دائماً يكره أيام الآحاد. كل أسبوع يبدو له هذا اليوم كخاتمة ما . يوم أبيض . فارغ . نهاية خاوية ، وشديدة السكون .

كان يخاف الآحاد . فى أيام السبت كان يتمنى أن يغرق فى حمام سباحة، وسط صخب السباحين . كان يتخيل جسمه وقد اشتدت ليونته ، وقد أخرجه منقذون قلقون . يتخيل نفسه مستلقياً على حافة الحوض الباردة . كان يتخيل لفيفًا من الناس حوله ، شذرات من الجمل ، كلمات متعجبة . يتخيل نفسه محمولاً ، ومنقولاً . كان يقول لنفسه إنه سيموت يوم أحد ، ويعود للحياة يوم الإثنين .

أدخل رأسه تحت الماء ، كأنما يغرقها . كان يترك عـينيه مفتوحتين لفترة ، ويلاحظ هذه الأجسام العالقة على سطح الماء . والتى لا تلمس أرجلها القاع - كانت تحرك أقدامها . ثم يغلق جفنيه ، يشـعر بضغط فى رأسه . تكفيه إغماءة ويسقط ببطء ، وبلا ضجة ، ثم يبقى كله مستقراً فى القاع . كحصاة .

كان عمره ثمانية أعوام ، ربما تسعة .

كان يـريد أن يرحل ، يرحل بعيـداً . يمتد . يحلم بشـاطئ محـيط يتذوق فيه الزبد .

الرحيل ، لكنه يـشعر أنه لا يمكنه حـمل جسمـه الضعيف ، الثـقيل برغم ذلك ، كـان يرغب أن يكون ذلك الكـائن القوى الـذى اعتـقـد أنه سيكونه ، وكان يتمنى لو يستطيع أن يستند إليه ، يأخذ نفسه بين ذراعيه ، ويحمل نفسه بعيداً ، بعيداً جداً .

سيرحل ، لكن بلا سـيارة ، بلا قطار ، بلا طائرة . لكن ذلك قدلا يعنى لو غير أن يبقى .

لفترة طويلة ، كان كل مرة مقتنعاً أنه لا يمكنه أن يُنهى مابدأه. الآن، لم يعد يبدأ شيئاً .

مخـيف هذا النقص فى القـوة ، هذا الترك الشـامل ، كسمـاء تطبق فوقها سحابة كبيرة سوداء ؛ ولكى يُخرج نفسه من هذا الليل الفجائى ، لا يندفع إلا تجاه حل واحد : الهاوية المميتة .

كل ما تبقى له من طاقة يتركز حول هذا الرعد : أن يقتل نفسه ، أن يطرح نفسه أرضاً . ثم ، مرة أخرى ، سيعـود له التنفس طبيعياً . مجرد هزيم لهاث أخير ، هزيم لا يسـمعه إلا بداخل نفسه ، بين أغشيـة جسـمه الرطبة .

إنه لا يبكى أبداً عندما يفكر فى نفسه .

يبكى عندما يرى هـذا الأحد ، المرأة العجـوز التى تسعل ، وهى تمر أمام بيته . يعـرفها بالنظر ، لمحها فى الطريق عدة مـرات : تخفى شعرها الرمادى تحت وشاح ملون ؛ تنزع نظارتها عندمـا تقابل أحداً فى الشارع أو تتحدث إلى البائعين ؛ عند الجزار تطـلب دائماً شرائح شديدة الرقة ؛ عند الخباز لا تأخذ إلا نصف رغـيف (٥) . فى السنة الماضية ، كانت لا تزال تأخذ رغيفاً كاملاً . ثم قسمت كل شئ إلى اثنين . قسراً .

منذ عام اشتد سـعالها فى أغلب الأحيان . تقف عند حافـة القضبان أو الجدران . أصبحت منهكة .

منذ عام وهى لا تهتم بنفسها .

---

(٥) الرغيف هنا المقصود به الباجيت ، وهو الرغيف الفرنسى الفينو الطويل .

يســوء حالـه . يرغب فى يد تنتشله ، ذراعـان يضمـانه . يتـصل بالطبيب ، لكنه غير موجود - إنه يوم الأحد . يوم الأحد . .

يقول لنفســه إنه سوف يذهب إليه صباح الغد ، بلا مـوعد مسبق . يعرف برغـم ذلك جـيداً أن المسألة سـتكون بلا جدوى ، وأن الرجل الذى يجلس خلف المكتب ممسكاً بين يديه بالروشـيتة لن يستطيع له شـيئاً . هذه الورقة التى سيعطيها له لن تكون كافية . فهو لن يمر بالصيدلية ، وحتى لو عـزم على الذهاب إليـهـا ، سـيكون ذلك فـقـط من أجل طلب الأدوية الخطيرة.

زيارة الطبيب هذه لن تكون إلا بمثابة إرجاء . ربما مهلة ليوم واحد . همزة وصل أخيرة . محاولة أخيرة .

لا يســتطيع الانتظار . المسـاء ، الليل ، الفـجـر ، تبـدوله كل هذه الأوقات كبيـرة . يتجه إلى البلاكار . يأخذ أنبـوبة الأقراص . يأخذ ثلاثة أقراص أولاً ، وبسرعـة شديدة ، ثم يعود ، يترك قرصين آخـرين ليسقطا فى يده ، ينظر إليهما ، إنهما بيضـاوان وصغيران ، إنهما هشان ، يبدوان مسـالمين . بحركة سـريعة يحملهمـا إلى فمه ، مـثلما يفعل المرء بحـبات الفستق .

بسرعة تبدو عقارب المنبه على الميناء ملتـفة حول نفسها . تتشوش ، تدور ، تتحول إلى نقطتين سوداوين كبيرتين . أغلق جفنيه .

لا يستيقظ إلا ظهر يوم الأربعاء .

يشطف نفسـه ، يستحم ، يدعك جسده ، لأنه فكـر أن الطبيب قد يخلع عنه الملابس ، يعطى لكل واحدة من حركـاته حقها من الوقت : لا يجفف جسمه ، يترك ذلك للملابس النظيفة التى يرتديها فى الحال .

ارتدى ملابسه . وفى النهاية ، لا يعرف إذا كان سيفتح الباب ، سيخرج ، يعبر هذين الشارعين أو الثلاثة إلى العيادة الطبية . يجلس على حافة السرير ، ينتظر : فى الخارج ، يصيح أطفال ويجرون خلف بعضهم البعض ، أمهات تنادى ، وآلات تنبيه ؛ أكثر بعداً ، هناك قطارات ، سرينة إسعاف . العالم فى حالة حركة ، وهو لا يستطيع التحرك . منبوذاً، لا يفهم هذا الفراغ الذى يقبع بداخله ، هذا الغياب الذى يحتله . يأخذ فى النحيب .

هارباً ، يتذكر إحدى المساءات والدفعة التى أعطيت للبالون . البالون الذى يطير ، عنيفاً - ونظرته مرفوعة نحو الأضواء الحية ، التى تسقط فى الاستاد .

عاود القيام ليذهب لرؤية عينيه فى المرآة . الدموع جعلتهما حمراوين. وجهه يتشكل - يسيل .

يملأ الحوض . يغمر رأسه فى الماء المثلج . يمسح الأثر الساخن للدموع. الماء يعيد وجهه إلى شكله: لم يعد يبدو أكثر حزناً مقارنة بالآخرين.

يسرع للرحيل . يفتح الباب . إما الآن أو لا للأبد .

تستوقفه مدام لبسكوت التى تقضى صباحاتها فى قراءة الجرائد المجانية التى توزع فى صناديق البريد :

- سينقطع التيار الجمعة القادمة .

تلاحظ أنه لا يبدو قد فهم :

- بسبب الإصلاحات . تحدد له .

فيبتسم . يشكرها ، يتمنى لها بصوت واهن ظهيرة سعيدة . ترى أن هذا الشاب جميلاً .

صالة الانتظار فارغة . تتوسط الحجرة بعض اللعب موضوعة هنا من أجل الأطفال . هنا ، للسكون رائحة طيبة . يتساءل ما الذى يفعله هنا ، ماذا سيقول : ليس عنده شئ . يود لو يعاود الرحيل . لكن ، خطوات صامتة فى الردهة ، خطوات رقيقة ، ثم ينفتح الباب . الطبيب . الطبيب الذى يشير إليه أن يأتى ، الذى يدعه يمر أولاً إلى حجرة الكشف . حجرة معدنية حميمة . حجرة باردة .

– إذاً ؟ يقول الطبيب .

يفكر : ولكى لا يستمر سكوته ، يجيب :

–« أنا منهك . أشعر بألم فى كل مكان . كأنها انقباضات . أشعر أننى . . . »

– «بداية برد ؟» يندهش الآخر .

يجعله يكشف صدره . لا يلمسه ، يجسه . يمزح :

– «لست الوحيد . إنها فترة بدايات البرد» .

لا يجد الطبيب برغم ذلك أى شئ غير طبيعى : لا حرارة فى الجبين، لا احتقان فى الحلق . لا شك أن الأمر يتعلق فقط بحالة برد خفيفة ، وستتحسن .

يروح الطبيب ليجلس مرة أخرى ، يأخذ ورقة ، يسمع مريضه يضيف :

- ثم إنى . . متوتر إلى حد ما .

- بسبب الامتحانات ؟

يدع الجملة تخرج عنه :

- نعم ، الامتحانات .

ما إن أغلق الباب خلفه حتى أخـذ فى البكاء ، دفعة واحدة ، هنا ، على درجات السلم ، يستند إلى الدرابزين ، يسمع تنفـسه يتسارع . عيناه تلهبـان وجهه . يمكنه بالكاد أن يـنزل السلالم ، لم يعد يراها ، لقـد غام نظره .

يتمـالك نفسه عندمـا يسمع شخصـاً يصعد ، يخـرج منديلاً ويخفى وجهه فى مربع النسيج .

فى الخارج ، صـخب من آلات التنبيـه . سيارات تتـتابع ، وخلف الزجاج الخلفى ، تكوين أبيض ، كأنها فراشة : العروس .

يراهم يمرون . ثم على الرصـيف الآخـر ، يرى المرأة العجـوز تنظر أيضا. تبتسم، تنحنى قليلاً، كأنما لكى تمسك بالصورة من داخل السيارة ، صورة الشابة البـيضاء التى ترحل إلى حياة لاثنين . مـازالت المرأة العجوز تبتسـم ، تشع ابتسامتها ، كأنها سـعادتها الشخصية ، كأنما هى التى كانت تبتعد فى قلب الموكب . كأنهم يحتفلون بها .

ثم تعود وحيدة من جديد على الرصيف . تسعل وتعاود المشى .

تنظر إلى الصـيـدلى الذى يعـود إليه ، يـضع الدواء على الطاولة ، وينزع البطاقة الصـغيرة من فوقـه . الصغيـرة كطابع ، بالكاد . هو يعرف

مسبقاً العلبة الخضراء ، الأنبوب الأخضر ، الغطاء الأبيض . يعرف مسبقاً ورقة الإرشادات ، غالباً ما كان يقرأها : « لحالات الضغط الانفعالى والأعراض الملازمة لها ».

طفل يلكزه ، يكاد يسقط . لا يقول شيئاً .

كراهيته ملتفة ، منصبة على ذاته . كراهيته حاشيته .

تجول فى الشوارع لساعة أو ساعتين . غالباً ما كان يتوقف ، يستند إلى الجدران . يشاهد العمارات ، اللافتات ، المساقى ، الأسلاك الكهربائية . الأرايل الهوائية ، الشرفات ذات التندات المغلقة ، ينظر فى كل مكان .

هبط الليل الآن ، نضراً ورطبا . كفتحة . كثقب .

يدخل إلى مدخل عمارته . لن يخرج أبداً .

لم يغلق باب شقته بالمفتاح . هكذا سيتكلفون عناءً أقل فى التعامل معه .

وضع معطفه فى الدولاب . علق مفاتيحه ، كالمعتاد . كل شئ فى مكانه .

يفتح مظروفاً ، ينظر إلى صورة فوتوغرافية : وجه مجعد فى موسم الحصاد . كانت ترتدى فستاناً خفيفاً جداً لكنها تضع على رأسها وشاحين أو ثلاثة . وقد أدخلت خصلات شعرها البيضاء تحت القماش المرقش . كانت تقول : « أشعر بالبرد فى جمجمتى ، فى الجمجمة ...»

كانت عــجوزا قصــيرة القامة ، عــجوز نحيلة بــصديرية تريكو يدوى مشغــول بها أزرار كبيرة فــاتحة اللون ، عجوز نحــيلة برداء أزرق ، عجوز نحيلة بدبوس زينة على حافة الرقبة .

كانت أحياناً تستخــدم كلمات جديدة ، كلمات شابة ، وكانت ترفع ذراعيها عالياً ، كفتاة صغيرة تكتشفــ العالم بعيون جديدة للغاية .

لم تكن تريده أن يفعل هذا . برغم أنه لم يعد له غير ذلك ليفعله .

يذهب إلى الحــوض ، يملأ كوبــاً كبــيراً بالماء . يــسمع الجــارة تغنى وحدها ، يبتسم . يضحك .

" الامتثال المنضبط لمنحى الطبيب المعالج "

إنه المساء والصمت . بعض الناس قد ناموا بالفعل .

علب الدواء فارغة : لا شئ فى العلبة التى جلبها من الصيدلية ، هذه الظهيرة ؛ لا شئ مما تبقى له فى غيرها . كلها بداخله ، مستعدة للعمل .

استلقى . لن يتصل بأحد . بل ولن ينزع سماعة الهاتف ، مثلما فكر أن يفعل من قبل عندما فكر فى « الإنت . . . »

لا يرغب فى الاتصال بأحد . إنه راضٍ ؛ لا تأخير ، انتهى الأمر .

الأكثر صعوبة قد تم اجتيازه ، وكم هو رقيق . تداخل . غياب وعى. لم يعد يستطيع التفكير .

ظهره، مؤخرته ، ساقيه ، كعباه قبالة السرير ، على امتداد السرير .

يلتفت ببصره ، ينظر إلى الحجرة ، الماثلة . يشرد : ذات مساء ، فى غضون أسابيع، سيكون كائن آخر موجوداً هنا بالتأكيد ، فى المكان نفسه ؛ كائن آخر سيخبره الجيران ماسيطلقون عليه مأساة هذه الشقة ، كائن آخر سيقول لنفسه :

« كان شخص ما موجوداً هنا ، شخص لم يعد موجوداً. تبخر فى الهواء . رحل داخل الأرض . شخص ما ربما كان سريره فى موضع سريرى نفسه ، شخص كان ينصت ربما إلى ترددات الصمت ، شخص ربما كان يضغط جبينه بمربعات النافذة ، شخص كان . . . » وذلك الشخص فى زمن الماضى الناقص ، سيكون أنا .

يغلق عينيه ، يحاول نسيان الثقل الذى يعتريه ، يأخذه ، يحمله ؛ يكرر لنفسه مراراً : « سيكون أنا ، سيكون أنا ».



الفصل الثانى

سيدة فى الطابق الأول مصابة بالأرق ، تنظر إلى الآخرين ، ترغب فى منع نفسها عن الكلام ، لكنها لا تستطيع ، شفتاها يتغير شكلهما :

« كان ذلك فى حوالى منتصف الليل، ذلك المساء؛ سمعت صرخة ، ثم أخرى ، ثم لا شئ ».

تضيف كأن هذا الاعتراف المفاجئ كان ينبغى أن يكون أكثر تحديدا ، أن ذلك قد حدث بعد منتصف الليل بستة وأربعين دقيقة بالضبط تتذكر ذلك لأنها عادت ، نظرت إلى المنبه على حافة السرير ، المنبه الذى تصدر عن أرقامه علامات مضيئة فى الظلام .

لمست زوجها ، سألته إن كان قد سمع شيئاً . هو تنهد وأجاب وهو يجذب الغطاء قد يكون ضجيج المارة فى الشارع ، بشر عائدين من حفل ما .

عاود النوم أما هى فقامت ، ارتدت «الروب» ، وذهبت إلى الباب ، وضعت أذنها قرب المزلاج : لا شئ ؛ فكرت إذاً . . . زوجها عنده حق . ابتعدت عن الباب ، مرت بالمطبخ حيث أكلت فاكهة وشربت كوب ماء . ثم عادت إلى الفراش .

لم تنم : فكرت فى الأمس ، فى الغد ، فكرت فى نفسها .

الآخرون ينظرون إليها ، تشعر بشئ من الخزى. تقول لنفسها إن. . .

والآخرون ، كل الجيران ، يقولون أيضاً إن . . .

إنهم هنا ، مجتمعون فى بهو المدخل . فى كثير من الأحيان كانوا يقابلونه ، يلقون إليه السلام ، لكن لا شئ أكثر . إنهم جيران الشاب ، ثم فجأة التفتوا جميعاً فى حركة واحدة ليشاهدوا البوليس يمر وكذلك حاملى النقالة .

بقى نائماً وحده أكثر من نهار كامل ، ميتاً فى سريره ، بدون أن يزعجه جرس هاتف ، بدون أن يزعجه العنكبوت الذى يتحرك على امتداد مربع فى الجدار . لا شئ يوقظه .

بقى نهاراً كاملاً قبالة السقف ، معصمه الأيمن متجه نحو الغطاء ، كأنما ليدارى الندبة الصغيرة فوق العروق ، كأنها فصلة وردية عند طرف الذراع .

الراديو المنبه اشتغل وحده ، فجأة وبصوت عالٍ جداً .

مع مرور الساعات ألقى الجيران آذانهم ، ولم يسمعوا سوى هذه الموسيقى الصارخة التى أزعجتهم ، كلٌ فى شقته. بحثوا عن مصدرها. فتش كل منهما فى بيت الآخر ، استنتجوا أن هذا الصخب يصدر عن شقة الطالب . فى البداية أصابهم الاندهاش – إنه هادئ جداً برغم ذلك ، فى العادة – ، ثم أصابهم التعب . طرقوا على الجدران ، معبرين عن استيائهم . وفى النهاية تحالفوا : ذهب رجلان منهم إلى باب شقته . دقوا جرس الباب ، لا شئ . فطرقوا الباب أقوى ، خبطوه . فتح الباب من تلقاء نفسه . ولقد أُسئ إغلاقه مسبقاً . . .

الآن ، اجتمعوا فى مدخل العمارة ، بالقرب من المصعد . نزل جيران آخرون يسكنون الأدوار العليا : فقد شاهدوا سيارة الإسعاف ، واقفة أمام المدخل .

الكل يتحادثون ، يحاولون أن يجمـعوا كل ما يعرفونه عن الشاب ، تفاصيل ، تحيات صباح ، بعضهم يختلق إلى حد ما .

ينهون عـباراتهم بكلمات مثل « إنه لشئ مـأساوى» ، « فى سنه » ، «أى حزن !» ، الخ . لكن فى الواقع ، إنهم ليـسوا حزانى ، إنهم بالكاد متأثرون : بل على العكس ، إنهم يبتهجون ، يشعرون بوحدة أكثر ، إنهم يحبون هذه اللحظة ، هذه اللحظة المختلفة والمأسـاوية : إنهم يتحققون من أنهم أحياء ، هم .

كانوا مازالوا يتناقشون عندما وصل رجلان . يشاهدهما الجيران يأتيان ، يفكرون أن لهما علاقة بهذا الـ «حادث» .

لكن الرجلان يبحثان فقط عن عداد الكهرباء . إنهما أتيا ليقطعا التيار ولأعمال الإصلاحات .

مدام لبسكوت تدلهما على الطريق ، ثم تسرع فى العودة بالقرب من الآخرين .

لا يأتون إلا مع هبوط الليل .

إنهم أهله .

المرأة تتأبط ذراع زوجها ، تمسك به وتؤلمه . هو لا يقول شيئاً . ذقن المرأة يرتعش ، تقول إنها لا تريد الدخول هذا المساء إلى الشقة . تريد الانتظار إلى الغد ، الانتظار حتى يأتى النهار .

يبقيان إذاً أمام العمارة ، يبدو عليهما شئ من الغباء. إنهما ضائعان، لا يتحركان ، يقولان لنفسيهما إنه لم يكن ليتوجب عليهما أن يكونا هنا ، وإنه عليه أن يكون مساءً كالمساءات الأخرى - مجرد مساء .

فوقهما ، نوافذ العمارة تضئ وتنطفئ . أناس يروحون ويجيئون فى الحجرات .

فجأة يضاء مدخل العمارة . مؤقتة الإنارة بدأت تعمل ظهر رجل بوليس فى الممر. يلاحظهما ، يخمن أنهما الوالدان - إنهما أناس لا يبدو عليهما تصديق ما يحدث لهما . يتقدم نحوهما . يعرف نفسه ، لم يعد يحمل الكثير من المشاعر ، فقد شاهد الكثير . يقول لهما فقط :

« لم يعد موجوداً هنا ، يمكنكم الدخول ».

فتبكى الأم فجأة . لم يعد موجوداً هنا، جسمه لم يعد موجودا هنا، وقد رحل إلى مكان غريب وأبيض ، رحل إلى مستشفى المدينة ، هناك ، فى وسطها .

لا يقول الأب شيئاً . فقط يعانق زوجته التى ترفع رأسها ببطء نحو السماء - إنها تبحث فى هذه السماء عن نجمتين قريبتين من بعضهما البعض يمكنهما أن يكونا نظرة صغيرها إمانويل .

فى صباح اليوم التالى ، مازالت الأم غير راغبة فى الذهاب . تبقى فى حجرة فندق ، فى طرف المدينة .

وحده ، الأب يدير المفتاح فى الكالون . يدخل مسرعاً ، كأنما يدخل بيته ، لا ينتابه أى شعور ، يترك نفسه لفعل بسيط طرحت عنه المأساة . إنه لم ير جسد ابنه ساكناً ، لم ير موته . يعتقد إلى حد ما أن ابنه قد سافر ، وأنه هو ، الأب ، موجود هنا فقط ليتسلم البريد ، ليدخل الهواء إلى الحجرة ، ليتأكد أن كل شئ على ما يرام .

ثم العاصفة . لحظة مختلفة وفجائية ، لحظة من التأرجح . يرغب فى كسر كل شئ ، تدمير هذه الشقة ، فى تحطيمها - كأنما كان يمكن لابنه أن يعود ، كأنما كان يمكنه أن يرى الشقة رأساً على عقب ، كأن هذا التدمير يمكنه أن يكون عقاباً له . يجعل البيانو يدوى تحت رسغيه ، يجعله يجأر ، يذيب خشبه السميك الذى يسجن الألحان .

يرغب فى إسقاط كل شئ ، فى نزع ملاءات السرير ، فى تحطيم الأكواب ، يرغب فى استعادة الكاميرا التى أهداها له .

سوف يستعيدها على كل حال .

تكفى بضعة أيام لكى تتسرب رائحة جسده التى ما تزال طارجة ، من الشقة ، وتتبخر .

فى الحجرة ، حميمية صارت باردة . عطر محايد .

الأب فى الشقة من جديد . لا يجرؤ على ملامسة شئ . يخشى الاقتراب من الأثاث . ينتابه الخوف فجأة . خوف من البيانو بقى . خوف من مقعده بلا عازف أمام أصابعه ، خوف من الكاميرا التى تحدق به .

يرغب لو تأتى زوجته بسرعة : لقد تركت حجرة الفندق ، سوف تدخل هنا للمرة الأولى منذ الـ « حادث» .

إنها شقة سوف ترجع إلى ما كانت عليه قبل كل شئ : فارغة . مجرد أربعة جدران ، سقف وأرض : مكعب مملوء بالهواء ، مكعب سيأتى إليه شخص آخر ويجهزه .

الوكالة قد وجدته بالفعل .

تصل الأم إلى السلم . دعتها جارته آنفاً للدخول عندها ، للحديث . قبلت ، لا لتنصت إلى القليل من الكلمات التى تريد أن تكون مواسية، والتى لن يمكنها أبداً أن تعوض النقص المقبل، لكن فقط لكى تؤجل قليلاً هذه اللحظة التى ستجد نفسها فيها على السلم . أمام الباب بالضبط .

تطرق الباب . زوجها الذى يفتح . تتردد ، يستدير زوجها نصف استدارة ، يتقدمها فى الحجرة . تبقى فى الخلف . تنظر إلى دولاب الملابس . تهمس :

« إمانويل . إمانويل »

يلتفت الزوج ، يتوقف عن تحريك رأسه . يعود نحو زوجته المذهولة . يقول هذه الكلمات التى لا بد من قولها عاجلاً أو آجلاً :

« إمانويل لم يعد موجوداً هنا» .

تسأل أين هو .

شخص يعيد إغلاق الباب برفق ، خلفه . شخص سوف ينتظر خروجه مرة أخرى . شخص فى الأبيض ، ذلك الذى حمله إلى هذه الحجرة فى مدخل إحدى المستشفيات . ذلك الذى يقود الأحياء إلى الأموات ، عابر السبيل الذى لا يفعل إلا فتح الباب إغلاقه غلقة . ذلك

الذى ترك الأب فى هذه الحجرة منزوعة الأثاث ، بلا زينة ، بلا شئ سوى تابوت بالقرب من الجدار الخلفى .

ينظر الأب إلى الجدران المطلية : إنه لا يستوعب ، ليس مكانه . يتقدم ، يكتشف جسم ابنه الممدد . الساكن الثابت . الجبان ، الوسخ ، القمامة ، النذل الذى لن ينعق مرة أخرى ، السافل الذى لا نظرة له ولا عيون - وجهه من الآن فصاعداً تغلقه الجفون ، الشفتان المضمومتان لن تنفرجا بعد ذلك ، غير أنه يبدو قانعاً ، يبدو غير محتملٍ .

تمر لحظة لا يجرؤ الأب فيها على القيام بأية خطوة ، ثم يكون رد فعله الأول هو الإمساك بالابن ، بجثمان الابن . الإمساك به بعنف ، من اليدين . ويأخذ فى صفعه ، مرة ، مرتين ، خمس مرات . يضربه ، يرفعه ، يصفع الوجنتين الثلجيتين الجامدتين . بقوة ، ينزع الجسم عن التابوت ، يخرجه بأكمله تقريباً من هذا السرير الخشبى ، يهزه . ما إن يتركه إلاَّ ويقع ، الكائن الذى لم يعد إلا شيئاً ، وزناً .

لا ينتاب الأب الخوف : يريد أن ينظر إليه ابنه وجهاً لوجه ، أن يفتح عينين خائفتين ، أن ينصاع ، أن ينحنى أمام هذا المصلب : أن يعيش . «عش ، عش » .

تسقط أذرع الأب دفعة واحدة . حانية وثقيلة فى ذات الوقت . ينحنى ، ينكفئ ليصاحب ابنه داخل التابوت . ظهره متكور ، مستدير : يضع هذا الجسم فى مكانه ، يعيده إلى موضعته . إنه مائل ، كأنما كان فوق المهد ، فيما مضى . لكنه هذا المساء لن يعود ، لن يعود باحثاً عن النوم ولا باحثاً عن اليقظة .

يقبله . يقبل بسرعة هذا الابن الذى يتجاوزه بعشرة سنتيمترات ، ويرحل مسرعاً .

أمام المستشـفيات ، أو بالقرب منها ، عادة مـا تمتد حدائق . حدائق عامة بها أرائك ، أشجار ، طرقات تتفرع بين الأرضيات .

الأب فى حديقة عامة لا يعرفها لكنها شديدة الشبه بالأخريات . إنها ثقب ما ، دائرى إلى حد ما ، ومزهر ، تحـيط به ضوضاء المدينة . وتبدو - الحديقة - بعيدة .

مكان حيـث يسترخى العـجائز ، جـالسين ، حيث يتـدرب الأطفال على الدراجات. مكان فى الخارج. مكان كحفرة، حفرة من الآت التنبيه ، حفرة من الصرخات ، حفرة من الهياج .

يمشى الأب ، لا يتوقف أبداً ، يدور لساعات . إنه هنا ، كشاب فى رحلة ، بلا زوجـة ، بلا أطفال . غيـر أنه يشعـر أنه عجـوز ، أنه أصابه الكبر فى خلال أيام : لم يعد له ابن ، ولن يكون له أبداً .

إنه ابن شخص ميت وأبٌ لشخص ميت. لا يستوعب ما هو موقعه، لا يفهم بسبب أى سـر مازال هو موجوداً هنا ، هو . إنه معلق ، مـستعد للسقوط بين حافتين .

رجل آخر يمشى أيضاً ، يتقاطع معه ، يلتفت وينظر إلى ذلك الرجل الذى يبدو حزيناً .

تسقى الأم النبتة الخضراء ، تلتفت بلا توقف حتى تصل إلى الصنبور لتملأ إناءً صغيراً تسكب الماء منه فى أصيص الفخار .

يراها زوجها من خلفية الحجرة . يرتفع صوته :

« اتركيها ، يقول ، سوف يتوجب علينا استعادة الأصيص » .

تثبت إيماءات الأم . لم تعد تتحرك . تبكى بلا صوت - أولاً يرتعش

ذقنها ، ثم تحمر وجنتاها وأسفل عينيها ، ثم تقترب اليد من العينين - تبكى مثلما تبكى كل يوم ، فى أية لحظة - عند استرجاع كلمة ، ذكرى ، صورة طافية فى رأسها .

تنظر إلى زوجها الذى لا يبكى. لا تعرف أنه يختبئ عند فعل ذلك ، لا تعرف أنها لا تستطيع رؤيته يفعل ، ولا مفاجأته .

تبكى مروراً بعملية التنظيف الذى عليها القيام بها : عليها نزع الأتربة التى تركها ، آثار إصبعه على سطح قطعة أثاث لامعة ، كوباً لم يغسله وعليه تركت شفتاه علامة جافة .

ترتب أشياء متناثرة : منشفة تركها هنا ، ساقطة فى البانيو ، علبة كبريت قرب الهاتف ، فنجان قهوة على طاولة الكمودينو ، قبعة حمراء قرب الدولاب ، نظارة شمسية على حافة الكتب فى المكتبة ، سكين مختبئ على مكتبه .

احتفظت بالنظارة الشمسية فى جيبها. ستخرجها فيما بعد، وحدها . وستبحث ، عبر زجاجها القاتم ، عن نظرة ابنها .

فى علبة كرتونية مطلية وهشة ، تكتشف مجموعة خطابات . برفق تنزع واحداً ، تخرجه من مظروفه ، تفك طياته ، وتقرأ :

«أنت أخى ، صديقى ، عشيقى ». تنظر إلى الإمضاء ، أسفل : «جوديث» . لم تكن تعرف أن له صديقة خاصة ، قصة حب . لم تكن تعرف شيئاً ، فقط تعرف أنه كان عمره واحداً وعشرين عاماً . لم يخبرها بشئ أبداً ؛ لم يطلب منها شئ أبداً .

تقرأ أيضاً : « على رقعة شطرنج الصالون ، مازال الأحمقان اللذان قدت حركتيهما ذلك اليوم، متقاربين، مازالا يقفان وجهاً لوجه: بيدقان بلا أذرع يحاولان تقبيل بعضهما البعض. أرجو ألا يكون الحفل إلاَّ بداية، أنا أ . . . »

تتوقف . تسكت عن القراءة ، لن تقرأ أكثر . لا تستطيع خيانة أسرار فى مظروف أبيض . هذا ما تقوله لنفسها . تكفيها هذه السطور . يكفيها فقط أن تعرف أن طفلها كان عاشقاً ، محباً ، رجلاً. لقد عاش قبل أن يموت ، هكذا ، لم تعد تشعر أنه من حقها أن تعرف أكثر .

ترص الخطابات مع غيرها . تتصفح المجموعة كاملة . تنظر إلى الأسماء على ظهر الأظرف : إستيل ، فاليرى ، إريك ، لا تريد أن تعرف شيئاً . إيريك أكثر من مرة ، جوديث . جوديث مرة أخرى . أخرى وأخرى . ثم لا خطابات ، لا خطابات مخفية ، لا غزاة . لا مرسلين .

ترص العلبة الكرتونية مع بعض الكتب ، وسط الكتب هذه الردود بخط اليد تصطدم ببودلير ، مورياك ، ورواية لمارى كاردينال . .

الشقة . الرفوف مفككة . كروت البريد منزوعة . الأدراج فارغة .

فى نهاية الظهيرة ، رن جرس الهاتف . يقفز الوالدان ، يبحث كل منهما فى الحال عن الآخر ، ينظر إليه . لم تعد الأم تجرؤ على الحركة - أمل عنيف وأحمق وسط ما كان للحظة مضت صمتاً مزمنا . أبدياً منذ ساعات .

جرس الهاتف ، ثلاث مرات ، أربع مرات ، الأب يرفع السماعة : الأصدقاء ، أصدقاء إمانويل .

لم يعلموا بالخبر إلا اليوم . أذيع الخبر من مكالمة لأخرى . صوت مداعب يجيب على صوت حاد ثم يندرج فى هذه الحدة . الكثير من النظرات التى سقطت ، قد أظلمت .

ليس الموت بطبيعة الحال من سنهم . لهم نفس سنه .

وجدوا أنفسهم فى خلفية مشرب جعة ، أمام قهوة سوداء . دخان سجائرهم يدور ، ينسحب لأعلى .

يصمتون . لا يستوعبون شيئاً . كل واحد منهم يعرفه : كان يضحك دائماً وعيناه لامعتان ، كان يكثر من الحديث ، يضع يده مباشرة على كتف البنات بينما يقبلهن ، كان وجهه يحمر أحياناً ، ويبتسم لهذه الحرارة التى تلون وجنتيه . كان يبدو فى حالة طيبة ، وبسيطة .

كانوا يرونه بانتظام ، باستثناء الخمسة عشر يوم الأخيرة .

القهوة تبرد ، وهم لا يشربونها . اتخذوا أماكنهم جميعاً حول الطاولة ، لا يتحدثون عن سفر سيلفان ، ولا عن ساق فاليرى المكسورة ، ولا عن خروج سيلين دائماً عن الموضوع . لا حوار - لا سجال ، لا شروح حول آخر امتحان ، لا خبر آخر غير الذى سرعان ما جمعهم هنا . بينهم صمت ، وسط صخب مشرب الجعة .

سيلين لا تحتمل الأمر . لا تستطيع أن تصدق أنه خارجهم ، عندما تركهم ضاعت نظرته ، سقط جسمه كقطعة قماش طرية بدون أن يتمكن من أن يفعل حيالة شيئاً ، لا تستطيع أن تصدق أنه كان يطفو على سطح معاناة شديدة الإيلام ولم ينبت عنها بكلمة . تقول سيلين فجأة :

« إنه لم يكن يحبنا ».

فتـاة فى الركن مع فتى يعرفـونه بالكاد ، يخفضـان عيونهـما . فى صمت يتذكر الاثنان أنه كان يستخدم كلمة «انتحار». يلغو بها ، يكررها ، يضعها وسط حواراته، لكن بابتسـامة دائماً مطمئنة ، طريقة فى أن يعنى : «أتحدث عن الانتحار ، لكن ليس بالنسبة لى ، أنا لا أتحدث عن نفسى ». كان يستخدم هذه الكلمة بخفة ، بلا أدنى جـدية . كان يستخدمها ككلمة نظرية ، مجردة . ثم كان يضحك ، على كل شئ .

يقول الآن من أطراف شفتيه : «مرة ، فى منطاد ، طرق بشدة . . . كان ذلك مدوياً . لقد فعل نفس الشئ بنفسه ، نفس الشئ».

لم يعودوا يعـرفون ماذا يقولون ، ينتظرون . يحل المسـاء ، وينتابهم شعـور أنه سوف يظهـر ، أنه سوف يستـفيد من حلول الليـل لكى يعاود الإعلان عن نفسه، ليمحو الاحساس المر بخبر النهار هذا: كان يوماً خطأ، مجرد كابوس .

تُضئ الكرات على جدران مشرب الجـعة . لا شئٍ سوى القاعة التى تفرغ شيئاً فشيئاً ، من حولهم .

قال إنه ذات يوم سـوف يرحل إلى بوردو ، إلى تكعيـبات العنب ، إلى موريك ، إلى البحر البعيد ، إلى الأرض ، إلى النبرة ماذا يعنى مكانه الآن ؟

سواداً ؟

إنهم مرهقون .

فيـما بعد ، ربما غداً ، سـوف يستشـيرون بعضهم بعـضاً : إنهم لا يعرفون أى ورود عليهم جلبها من أجل الدفن .

أصابعهم ترتجف بعصبية على ميداليا مكتوب على ظهرها اسمها : جوديث .

اليوم ، لا تعرف أين هى . عيناها متعلقتان بلا شئ . حولها كل شئ مجنون . مجرد كلمات تسمعها ، متصاعدة . إنها جالسة فى المقهى أو متوقفة فى الشارع . لا تعرف ؛ إنها فقط مشغولة بالتفكير فيه . هاجس يأخذها .

لقد قبلا بعضهما البعض فى عمق حديقة ، ذات مساء حفل تتذكر العطر ، الصدر ، عطر ممزوج برائحة جلده ، فى فتحة قميصه مررت إصبعاً على سطح رقبته . تتذكر يديه ، دافئتين ، وقد انزلقتا على امتداد ظهرها . لقد قربها إليه ، مال برأسه ليصل إلى شفتيها .

اليوم ، تلمس شفتيها . هذه الحركة ، وينتابها الخوف . هذا هو ما تركه لها : هذا الخوف ، المتجمد ، على شفتيها ، تكرهه . تكرهه من كل جسمها .

ذات ظهيرة ، تلك الظهيرة التى تركا فيها المحاضرات ليمارسا الحب، قالت له فيما بعد ، إنها تندهش لصمته . كانت منفعلة ، انتهت بأن تصرخ فى وجهه : «تكلم!» كان قد خرج من السرير وارتدى ملابسه .

اليوم ، تتأرجح ، تفتح عينيها عن آخرهما : تنظر أمامها ، ولاترى شيئاً ، إلا أنها تكرهه .

فى المساء ، بعد المنتزه والقبور ، بعد الناس والأكاليل ، يعود الأب والأم ممددين فى سريرهما . يطفئان النور ويجتمعان بلا كلمة ، كأن الأمر اتفق عليه منذ زمن طويل . يتضامان ، يتعانقان . يمارسان الحب بعنف ، بلا ملاطفة ولا تنهدات ، بلا زمن . يمارسان الحب بحركات ثقيلة .

يتلاكزان ، يؤلمان بعضهما . يختنقان ، لا يعاودان التنفس . هو يتدافع في عمقها ، ينهي بسرعة وببرود ما اعتاد على تسميته بمتعته .

بعد لحظات ، يكونان جنباً إلى جنب . لن يقولا شيئاً ، لا يلمس أحدهما الآخر حتى الصباح ، حيث بعد هذا الإنهاك العنيف ، القاسي . هذا المساء مثل صباح الغد ، لن يمارسا الحب ، سوف يتفاركان ، يتداعكان ، دون أن يتوصل أيهما إلى تدفئة الآخر .

في الليل ، تشعر أن زوجها شارف على النوم . إنه منسحق فوق الوسادة . تثبته في هذا البصيص الأزرق الذي يمر بين ثنايا الشيش . بعيون مقفلة ، يتنهد ، يسقط مرة أخرى أكثر عمقاً في النوم . يتحرك ، يعطيها ظهره .

تنام على بطنها . الملاءة فاترة . تعرف أنه لن يكون لها طفل بعد ذلك أبداً : لقد أجرت العملية منذ سنتين .

« ستصبح عيناى مجوفتين وساقاى سقالتين ؛ وذراعاى رغيفين يستقيمان طوال الليل على امتداد نصفى العلوى ، برميلين متعرجين ورماديين ».

« ستأتى شعوب الأحياء فى أثمال سوداء هذا اليوم لاجتياز الرموز العظيمة العالية . سيجرون ويتغندرون ممسكين بالأطفال الذين يبحثون عن مروج يلعبون فيها ضاحكين ».

كان يجب أن يمر عام ليقرر الأب أن يفتح الكاميرا . سنة كاملة لكى يسحب الفيلم الذى كان عليه أن يتم تصويره بنفسه . سنة ليعطى الفيلم للتحميض ويكتشف فى النهاية ما بدأه إمانويل .

أبيض وأسود . بعض المناظر الطبيعية . تمثال فى حديقة عامة . الشقة من الداخل : السرير والمصباح مضاء ، المكتب مكدس بالورق والأظرف ، المقعد ووسادته ، أدوات مائدة على الطاولة ، البيانو ، وكوب نبيذ . لا بورتريه ، لا شخص ، إلا شبح امرأة عجوز لا يعرفها الأب ، شبح شبه غائم ، تم التقاطه بسرعة خلف الزجاج . ثم هو إمانويل . ثلاث صور شخصية .

فى البداية ، لم يكن يريد الأب أن ينظر إليها. يترك الصور تسقط ، يذهب إلى المطبخ ، يشعل سيجارة . نقوش النتيجة تجعله يشرد ، يرى أعمدة الأسابيع منفصلة ، والشهور . يفكر ، يتردد ، ينظر إلى الدخان وهو يدور ، يتقدم خطوة ، يرجع نحو المدفأة ، يرتبك قليلا ، ثم أخيراً يعود إلى الصالون ، ينحنى . جالساً القرفصاء ، يأخذ فى النظر .

الصورة الأولى لا تظهر إلا انعكاس مرآة : فى هذا الانعكاس ، إمانويل تخفيه الكاميرا. وحدها تظهر الخصلات الطويلة على حافتى الأذن. والرقبة ، مشدودة ، فى فتحة القميص الأبيض .

الثانية تظهره حتى طرف الذراع ، البؤرة فى مواجهة الوجه ، الكادر مائل ، الجانب الأيمن من الجبهة مقطوع. ومقدمة الخصلة أيضاً ، مقطوعة. هذه المرة يرتدى قميصا ملوناً - بنفسجياً أو ربما أزرق - أغلق أزراره حتى نهاية الرقبة ، عيناه مفتوحتان عن آخرهما ، فمه مضموم . يبدو منتبهاً ومستكيناً .

فى الصورة الأخيرة ، يظهر عــارى الصدر تحت سترة ، وضع رابطة عنق متعرجة ، مفكوكة ، تقع على الجلد وتبدو مرتفعة نحو السرة . على رأسه ، وضع قبعة - القبــعة الحمراء بالتأكيد - بين شفتيــه سيجارة أشعلها لتوه بلا شك . شــذرات دخان . وجهــه شديد البــهجة ، مــشع : عيناه لامعتان ، براقتان . ويضحك . ينفجر من الضحك : إنه مهرج صغير .

لا تذهب الأم إلى المقبـرة إلاّ وتعود مسـتقلة أتوبيس الخامسة وأربع دقـائق ظهـراً ، هناك ، دائمـاً ما يكـون الصبى الـذى يجلس فى الخلف موجوداً . كل مـرة ، يضع حقيبتـه عند قدميه ، يتـرك لرأسه أن تنخفض بعد أن يمرر يـده فى شعره البنـى الطويل المطواع ، يجز شـفته السـفلى ، يعضها بشدة لدرجة تكاد تدميها فى زاوية ذقنه ، طابع الحسن ذاته الموجود عند إمانويل .

يقع بيت الوالديـن فى الريف بالقـربْ من نهـر اللوار ، بموازاة الطريق على حافته تقع العشش القديمة : تتوقف السيارة عندها ستة مرات فى اليوم .

هذه الظهيـرة ، دفع الأب باب الحجرة ، حجرة إمـانويل . تقدم فى الظلام ، متـلمساً بيـده . انتابه خـوف السقـوط ، من التخـبط ، خوف بالتأكيـد من الظلمة التى لم يعد يمكنه أن يغـير شيئاً من أمـرها . شعر أن الجدران لم يعـد لها وجـود ، مجـرد زجاج بارد . بصخب يـتز نزع عن النافذة زجاجها . فتح الشـيش . الضوء الشديد المفاجئ ، المصيب بالعمى ، المباشر من سـماد الريف ، يتكسر منعكساً فى كـل مكان فى الحجرة ، على الأثاث ، على جزء من السرير ، على مكتبة صغيرة . الضوء نفسه ، الذى يلمع فوق سيارة معدنية وصغيرة .

يمر الأب أمام مرآة الحجرة. يتوقف ، ينظر إلى نفسه ، مرة واحدة ، لم يعد يفكر فى المـعاناة ، فى الحزن على ابن فـقيد ، ينظر إلى نفـسه ، ويجد أنه أكبر ، أكثر رشاقـة ، أوه ! إلى حد ما ، لكن ذلك يعطيه مشية أكثـر شباباً . ينسى كل شئ ؛ ثم يـرتاب فى نفسه ، يقـترب من المرآة ، يلمسها بأطراف أصابعه ، أصابعه تنزلق على امتدادها : سطح المرآة منتفخ قليلاً . إنها لا تعكـس إلا صورة خاطئة . يعود لحـزنه ، كأنما لم يتلاش أبداً .

عند مدخل الحديقـة ، تصدر البوابة صليلاً . يلتـفت نحو النافذة . يرى البوابة تنغلق، لكن لا أحد. ثم فى المدخل ، صوت باب ، قعقعة ، خطوات على الدرج ، خطوات على السلالم . بقى باب الحجرة موارباً . يرى الأب شبـحاً أعلى السلم ، ثم فى الردهة . هـو ، الأب ، يبقى بلا حراك . يقترب الشبح ويفتح وربة باب الحـجرة أكثر ، ليمر . إنما الأم ، بعيون منخفـضة ومشغولة فى فك أزرار معطفهـا ، تحدد : «لقد عدت» ،

تخلع المعطف ، تقول بوجه مرفوع وعيون جعلها انطفاء النور أكثر حدة : «هل أنت الذى فتحت الشيش ؟» ينظر كل منهما إلى الآخر .

فى الخارج ، صوت دراجة بخارية تمرق – صوت يهبط ، يتحول إلى تقطعات خـفيفـة جداً ، من بعيد ، على الأشـجار تحديداً ، يُرعِـد الهواء الأوراق .

الفصل الثالث

إنه مكان عجيب لتذكر مقعد من رمل ، لتذكر أنها كانت دائماً فتاة تحب أن ترى قدميها مبللتين بماء البحر . كانت تركل سيقان وبنطال أبيها المرقع ، من الأمام . كان يتلفت ، بجدية مزعومة ، وكانت تمسك بذراعه، ضاحكة .

عادت الصورة غير ممسوسة. الذكرى، كفلاش كاميرا بضوء . عنيف، ومفاجئ : الصورة الفوتوغرافية قديمة ، من الأعوام الخوالى .

عند رفعها لرأسها ، هنا ، الآن ، تلحظ صلباناً . لا شئ ليرى . صلبان بقدر ما هنالك من شخوص صغيرة من الحجر بأذرع مفرودة وأعناق جامدة ورمادية .

ربما هو الربيع الذى يجلب صوراً قديمة إلى ذهنها . الكثير من فصول الربيع التى تفصلها عن صباها ، الكثير من فصول الربيع التى لم تعد تتمكن من إحصائها والتى ، منذ زمن ، أحالت شعرها إلى الأبيض ، وجعدت جلدها . لكنها مازالت تحب النظر إلى المرآة ، تحب أن تشعر أن الشيخوخة فى وجهها لا تستسيغها بالمرة . ، كأنها انتظرتها . عليها بالفعل أن تكون امرأة لتدرك ذلك .

فى الممرات ، الأشجار المتمايلة تبدأ فى الامتلاء والتلون . ترفع رأسها وترى بالكاد من بين الفروع السماء الزرقاء . إنها ظهيرة طيبة والمقبرة شبه خاوية . تتنزه فيها ، فى الظل ، تستفيد من امتداد الصمت وتجوالها وحيدة . إنها صغيرة الحجم جداً إلى جوار الصفصاف وفى هذا الممشى

شديد الاتساع – كأنها دمية تتحرك برفق فى حديقة وضاءة .

تنظر إلى الزهور على الرخام . ترى تواريخاً محفورة ، كل سنوات القرن متناثرة هنا وهناك على القبور المختلفة .

لا تتوقف ؛ أحيانا تبطئ قليلا . تنفتح حقيبتها ، المعلقة فى ثنايا ذراعها الأيمن ، أمام أى ضغط بسيط لنظام حارق ، تنفتح كمنقار ، تدس فيها يدها اليسرى ، تبحث لتُخرج منديلاً مطرزاً تعمله على صدغيها الواحد فالآخر .

تأتى إلى هنا مرات عديدة أسبوعياً ، منذ سنوات ، أقاربها فى حقل القتال هنا مدفونون ، ممتصون تحت الشواهد والزهور . هنا ، مكان راحتها الخاصة : لكنها لا تفكر فى المشهد المريع ، إنها تترك نفسها فقط ترتاح مع الذكريات . محمولة معها .

هنا ينتهى كل الذين عاشت معهم . وكثيرون غيرهم . سوف تنتهى هنا ، هى أيضاً . إن آجلاً أو عاجلاً ، لا تفكر فى ذلك .

كان فى الـ«بول» ، بيت الإجازة ، عام ١٩٢٩ . كانت خارجة من الشاطئ ، تصعد الدرجات ، تصادف أحياناً صبياناً يركبون الدراجات . كانت تدخل المنزل تاركة نفسها للنسيم والرمال . كانت تأخذ حمام ماء رقيق ، كى يرحل الملح عن جلدها . فى المساء ، كانت تخرج إلى الشرفة . من الطابق الثانى ، كانت تسمع شذرات حوار : كانت عائلتها تتناقش هادئة فى التراس، على ضوء شمعة أو شمعتين . كانت تنظر إلى أسفل : على الطاولة فوضى ، أذرع تتشابك ، أصابع تنقر بالقرب من الفتات وأدوات المائدة . ثم ترفع عينيها ، ترى البحر ؛ ولا تعود تسمع شيئاً . كانت تتخيل ما ستكونه حياتها . لم تكن تعرف بعد الأسى ولا تفهم

معنى أن يغلق رجل عينيه ولا يعود يفتحهما مرة أخرى ، عندما يسقط جسم ويبقى مستلقياً للأبد . لم تكن تعرف بعد هذه الخيانة للحظة ، عندما لا تكون هناك إجابة ، عندما يتساءل المرء من وقت لآخر أين ذهب الكائن الذى كان يحدثه والذى ، بصورة وحشية ، أصابه الصمت .

ينبغى أن يكون هناك أهلها ، إخوانها ، زوجها . الرجال يموتون أسرع . هى وحدها بقيت عجوز ضيئلة تضع كريم أساس وتسرح شعرها قبل الخروج . أحياناً يصيبها الندم لأنها لم ترقص كثيراً . غالباً ما كانت تصيبها كؤوس الشمبانيا وأذرع الرجال بالدوار الرقيق. والضحك الحر .

تمشى ببطء . يصيبها حذاؤها بشئ من الألم . إنه غير مريح . لن تعود إلى نفس البائع ؛ فى المرة القادمة ، ستذهب إلى محل آخر ، بل وقد دبرت بالفعل التعامل مع واحد فى شارع «أنجو» ، ألقت نظرة على الواجهة . إنه الشئ الوحيد الذى تفكر فيه بينما تمسح الأضرحة ذهاباً وعودة .

تجلس عند الخروج من المقبرة . تنظر إلى الشارع والسيارات المسرعة . تنظر إلى العمارات ذات الأربعة طوابق . لافتات الإعلان ، تنظر إلى الشمس التى تأفل والتى تعطى للسماء فوق المدينة ضوءاً أبيض .

تجلس مستقيمة ، وترى السائقين الذين يتجهون نحو المدينة ، يرحلون نحو هذا الصخب الذى لا تشارك هى فيه. تنظر إلى هؤلاء البشر. مازالت أمامهم أيام عديدة .

بدأ الجو يعتدل .

تبتسم . هذا المساء ، ستأكل سمكا . فوق طاولة عريضة ، سيختار لها الصبى أفضل القطع . سيسألها إن كان ينبغى عليه إعدادها لها . ستقول

«لا» . إنها تعرف كيف تعده . يداها تعرفان الحركة المضبوطة اللازمة لنزع قشر السمك ، نزعه برفق بدون أن تلمس جلد السمك نفسه . ستضعه فى العجين . لكن اللحظة التى تفضلها ، هى لحظة أن يطقطق السمن فى القدر الذى تم تسخينه .

إنها لا تسمع له أبداً نفس الطقطقه مرتين .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت . محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة　والاس مارتن　ت : حياة جاسم محمد

٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها　بريجيت شيفر　ت : جمال عبد الرحيم

٣٨ – نقد الحداثة　ألن تورين　ت : أنور مغيث

٣٩ – الإغريق والحسد　بيتر والكوت　ت : منيرة كروان

٤٠ – قصائد حب　آن سكستون　ت : محمد عيد إبراهيم

٤١ – ما بعد المركزية الأوربية　بيتر جران　ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد

٤٢ – عالم ماك　بنجامين باربر　ت : أحمد محمود

٤٣ – اللهب المزدوج　أوكتافيو باث　ت : المهدى أخريف

٤٤ – بعد عدة أصياف　ألدوس هكسلى　ت : مارلين تادرس

٤٥ – التراث المغدور　روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين　ت : أحمد محمود

٤٦ – عشرون قصيدة حب　بابلو نيرودا　ت : محمود السيد على

٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)　رينيه ويليك　ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد

٤٨ – حضارة مصر الفرعونية　فرانسوا دوما　ت : ماهر جويجاتى

٤٩ – الإسلام فى البلقان　هـ . ت . نوريس　ت : عبد الوهاب علوب

٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير　جمال الدين بن الشيخ　ت . محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى

٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية　داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى　ت : محمد أبو العطا

٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى　بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل　ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش

٥٣ – الدراما والتعليم　أ . ف . ألنجتون　ت : مرسى سعد الدين

٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح　ج . مايكل والتون　ت : محسن مصيلحى

٥٥ – ما وراء العلم　جون بولكنجهوم　ت . على يوسف على

٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)　فديريكو غرسية لوركا　ت : محمود على مكى

٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)　فديريكو غرسية لوركا　ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى

٥٨ – مسرحيتان　فديريكو غرسية لوركا　ت : محمد أبو العطا

٥٩ – المحبرة　كارلوس مونييث　ت . السيد السيد سهيم

٦٠ – التصميم والشكل　جوهانز ايتين　ت . صبرى محمد عبد الغنى

٦١ – موسوعة علم الإنسان　شارلوت سيمور – سميث　مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى

٦٢ – لذّة النّص　رولان بارت　ت : محمد خير البقاعى .

٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)　رينيه ويليك　ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد

٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)　آلان وود　ت : رمسيس عوض .

٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى　برتراند راسل　ت : رمسيس عوض .

٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية　أنطونيو جالا　ت : عبد اللطيف عبد الحليم

٦٧ – مختارات　فرناندو بيسوا　ت : المهدى أخريف

٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى　فالنتين راسبوتين　ت . أشرف الصباغ

٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين　عبد الرشيد إبراهيم　ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى

٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية　أوخينيو تشانج رودريجث　ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى　داريو فو　ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيميونوفا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت . أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت . ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت · إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرا متى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت · محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت . محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢–نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت . منيرة كروان
١٢٣–الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت: أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت: على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت: عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت: على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت: أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت: بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت: محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت: فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت: خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت: أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت: مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت: عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت: بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت: صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت: مجموعة من المترجمين
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبدالأمير حمدان

(تحت الطبع)

الجانب الدينى للفلسفة
الولاية
چان كوكتو على شاشة السينما
الأرضة
العنف والنبوءة
العمى والبصيرة (مقالات فى بلاغة النقد المعاصر)
أنطوان تشيخوف
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
الإسلام فى السودان
العربى فى الأدب الإسرائيلى
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
فن الرواية
ما بعد المعلومات
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علمًا جديدًا
مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى
النقد الأدبى الأمريكى

موت الأدب
عن الذباب والفئران والبشر
العولمة والتحرير
علم اجتماع العلوم
الكلام رأسمال
محاورات كونفوشيوس
رحلة إبراهيم بيك
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان
شتاء ٨٤
الشعر والشاعرية
ديوان شمس
عامل المنجم
مصر أرض الوادى
الدرافيل أو الجيل الجديد
سحر مصر
أسفار العهد القديم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٥٨٢ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 179 - x)

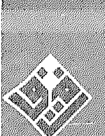






MEТTRE FIN

FRANCK BIJOU



لعل رواية «وضع حد» تعود إلى موقع الصراع ؛ كأنها- بعدما انتهت الحرب ، وبعدما هضمت وتمثلت تجربة الوعى كاملة منذ بداية الصراع حتى نهايته ، لا لتحلل وتعيد صياغة الذاكرة المتصارعة ، ولكن لتؤكد وتدون خسارة كلا الطرفين - تضع بسبب تلك الخسارة حداً لهذا الصراع .

تبدأ الرواية بمحاولة فاشلة للانتحار أقدم عليها شاب (بطل الرواية) يسكن وحده بعيداً عن أبويه. هذا الشاب لا ينظر إلى الانتحار نظرة الذى يريد أن يتخلص من حياته الكئيبة البائسة، وإنما نظرة من يريد أن يقوم بفعل ما ، لكنه أقل دأبًا وأكثر اندفاعًا من أن يقوم بفعلٍ ممتدٍ فى مراحل محددة. الانتحار بالنسبة إليه فعل سريع وتام .

هذه هى أول رواية للكاتب الفرنسى الشاب فرانك بيجو. ونحن إذ نترجم هذه الرواية، فإننا نحاول أن نفتح بابًا على الأدب المعاصر لنا الآن فى البلدان الأخرى، والذى يكتبه شباب من الجيل الجديد، وله من الهموم والهواجس والأحلام ما يشبه أو يوازى ما لنا، وحتى نمد جسور التآلف مع من هم مثلنا من الأدباء الشباب ، مثلما مددنا جسوراً بالترجمة أيضًا ، مع من سبقونا من الكُتّاب بخمسين عامًا .